الأقصى

مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن دار الإفتاء الفلسطينية
العدد 129

العدد 129 ذو القعدة وذو الحجة 1437هـ - آب وأيلول 2016م

هدية

العدد 129

ذو القعدة وذو الحجة 1437 هـ - آب وأيلول 2016م

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية - القدس

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:1)

المشرف العـــام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس هيئة الإدارة والتحـــرير

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

سكرتير هيئة الإدارة و التحرير

عطا الله عبد الله فلاحين

تصميم ومونتاج

يوسف تيسير محمود

هيئة الإدارة والتحـــرير

د. إسماعيل أمين نواهضة

أ. د. حسن عبد الرحمن السلوادي

د. حمزة ذيب حمودة

د. سعيد سلمان القيق

د. شفيق موسى عياش

أ. محمد خليل جاد الله

بـــلال محمد الغول

هـــالة مثقال عقل

ايمـــان خليل تايه

نجود إبراهيم بـدران

المراسلات: مجلة الإسراء

مديرية العلاقات العامة والإعلام، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب: 20517 - القدس / ص.ب: 1862 رام الله - تلفاكس: 6262495-02 / 2348603-02

موقعنا على الإنترنت: www.darifta.org للمراسلة على البريد الإلكتروني: israa@darifta.org

ملحوظة: ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

فهرس العدد

افتتاحية العدد

يا حجاج البيت الحرام اذكروا ثانيه	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

إياكم والهرج	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	10

مناسبة العدد

وأذن في الناس بالحج	أ. محمود حافظ اسماعيل	18
الجانب الروحي في أداء مناسك الحج	أ. محمد ذياب أبو صالح	20
رحلة لا تنسى	أ. كمال بواطنة	27
من دلالات خطبة حجة الوداع	أ. كايد جلايطة	30

مسائل فقهية

الدر المنثور في معرفة المهم من أحكام القبور	الشيخ إحسان عاشور	36
من أخطاء المصلين المتعلقة بالمساجد والصلاة	الشيخ أحمد شوباش	42

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية	50

أخلاق وقيم

مفهوم العفة في الإسلام	د. حسن مسعود	56
رسالة الإسلام رسالة أخلاقية وقيمية	د. حمزة ذيب	64
غفلة الناس عن الإحساس بنعم الله عليهم	أ. شريف مفارجة	70
الإسلام الحنيف وتكريمه للمرأة	الشيخ حسن جابر	73

مصطلحات قرآنية

الفرح والسعادة والسرور في القرآن الكريم	أ. يوسف عدوي	76

القدس لنا

القانون الدولي ومدينة القدس	د. حنا عيسى	85
القدس - (قصيدة)	د. عبد الله فنون	92

نشاطات ... ومسابقة

باقة من نشاطات مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء الفلسطينية	أ. مصطفى أعرج	94
مسابقة العدد 129	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 127	أسرة التحرير	111

افتتاحية العدد

يا حجاج البيت الحرام اذكروا ثانيه

الشيخ محمد أحمد حسين/ المشرف العام

يتوجه في هذه الفترة من كل عام، قاصدو أداء الحج إلى بيت الله العتيق، انصياعاً لأمر الله تعالى الموجه للمؤمنين البالغين العاقلين المستطيعين إليه السبيل، وبهذه المناسبة الإيمانية بامتياز يطيب الحديث عن الربط العقائدي بين المسجد الحرام في مكة، والمسجد الأقصى في بيت المقدس، حيث الأول يأتيه المؤمنون ليعمروه بالعمرة على مدار العام، ويحجُّوا إليه في أيام معلومات منه، بينما المسجد الأقصى يئن منذ عقود من سلاسل الظالمين وقيودهم، وتدنيسهم، وهتك حرمته، والمسلمون يحسنون صنعاً بأداء عبادتي الحج والعمرة، وما يتخللهما من طواف حول الكعبة، وسعي بين الصفا والمروة، وإعمار للبيت الحرام بالعبادة والصلاة، في مشهد باتت ديمومته تشد الأنظار، وتجذب المشاعر والقلوب، وتترجم واقعياً معنى الاستجابة الربانية لدعاء إبراهيم، عليه السلام، حسب ما جاء في القرآن الكريم على لسانه، حيث يقول الله جل شأنه: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}(إبراهيم: 37)، بينما المسجد الأقصى يفتقر إلى تحرك جاد، ولو بالدعاء من قبل المؤمنين في بقاع المعمورة، نعم، لو كان الدعاء على المستوى المطلوب في الجدية والحرارة الإيمانية لحرك السواكن، ولأثمر على أرض الواقع المواقف المنشودة التي تثبت للقاصي والداني أن المسجد الأقصى خط

أحمر، وراءه جموع المؤمنين الذين لا يسكتون عن انتهاك حُرمته، على سنة الخليفة المعتصم الذي انتصر لنداء مستغيثة من ظلم المعتدين، فنطق حاله مع لسانه: لبيك أختاه، فهل للمسجد الأقصى من يلبي نداء أنّاته المتلاحقة؟ والواقع يرد أن لا مغيث، إلا من رحم ربي من أبناء الأمة وقادتها، وبخاصة من أولئك المرابطين والمرابطات الذين يواجهون حراب المعتدين برباطة جأش قلَّ نظيرها، وحالهم ولسانهم يقولان: نحن فداك يا أقصى، لهم وإياه الله، وهو يقيناً أكبر من جبروت الطغاة والظالمين، ولكن الجاهلين لا يعلمون.

وفيما يأتي تذكير ببعض الدلالات الشرعية على عمق الصلة بين المسجدين الحرام في مكة والأقصى في القدس، عسى أن تنفع الذكرى، في تعزيز الحالة المنشودة لإعطاء المسجد الأقصى العناية التي يعطيها مسلمو العالم للمسجد الحرام، وبخاصة وهم يشدون رحالهم إليه حجاجاً ومعتمرين، أو وهم يتوجهون إليه في اليوم والليلة بما لا يقل عن خمس مرات قبل أن تنطق حناجرهم بتكبيرة الإحرام المشروطة لدخولهم أي صلاة، فرضاً كانت أم نافلة، تلبية لأمر الله تعالى بذلك، حيث قال جل شأنه: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} (البقرة: 144)

المسجد الثاني في الوجود:

يفكر الناس عادة في ترتيبات الوجود الزمانية وأهميتها، ويبحثون عن أوجه الصلة بينها، والمساجد التي تنشأ لتمكين المسلمين من أداء صلاتهم وعبادتهم لله تعالى فيها، ينتشر وجودها الآن في بقاع الدنيا، ولا تكاد أماكن تجمعاتهم تخلو منها، بل إن مناراتها تشهد بوجود مسلمين حولها، لكن الوجود الأول للمساجد له خاصية تتعدى حالة السبق في وجود المساجد إلى فعل الوجود الذي تم أصله على أيدي خلق مطهرين، اختارهم الله لأداء هذه

المهمة، وكلفهم بها، وعن إحدى مراحل التأسيس الرئيسة للمسجد الحرام، يذكر القرآن الكريم أن الله تعالى كلف نبيه إبراهيم وابنه إسماعيل، عليهما السلام، برفع قواعد البيت الحرام، فقال جل ذكره: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}(البقرة: 127)

كما عهد الله إليهما بتطهيره لأداء العبادة الخالصة لله، سواء أكانت اعتكافاً أم طوافاً أم صلاة، وعن هذا يقول سبحانه وتعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}(البقرة: 125)

هذه المكانة العلية لا يعتورها أي شك أو ريبة من قبل المؤمنين بالله ورسله وكتبه، فالمعلومات حولها حقائق دامغة، وليست مصادفة أن يربط الله تعالى وجود المسجد الأقصى بوجود المسجد الحرام، صاحب المنزلة الرفيعة في الأرض والسماء، والمساجد غيرهما كثيرة، ومنتشرة في أنحاء الدنيا، بل إن الوجود كله، المكاني والزماني وغيرهما، يخضع مطلقاً لقدرة الله تعالى وأمره، ويقع في إطار ملكوته سبحانه، فليست مصادفة أن يكون المسجد التالي للمسجد الحرام في الوجود على وجه البسيطة، هو المسجد الأقصى المبارك، فعن أبي ذَرٍّ قال: (قلت: يا رَسُولَ اللهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأرض أَوَّلُ؟ قال: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قلت: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قال: أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ، فَهُوَ مَسْجِدٌ) وفي حديث أبي كَامِلٍ (ثُمَّ حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّهْ، فإنه مَسْجِدٌ).(*)

فالاختيار الرباني للمسجد الأقصى ليكون الثاني في الوجود الزماني للمساجد، له من الدلالة والأهمية ما له، فهو ليس كأي مسجد في الدنيا، مما يقتضي من مسلمي العالم أن يقدروا له قدره، وأن يبذلوا جهدهم على حفظه وحمايته وتحريره؛ حتى يبقى خالصاً لهم من

* صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

دون الناس، يرتفع منه تكبيرهم ودعاؤهم، ويؤدون فيه صلاتهم واعتكافهم ورباطهم، غير آبهين بمن خالفهم، ولا بمن عاداهم، أو صارعهم على الاستحواذ عليه، فإن فعلوا ذلك، فقد أبرأوا ذمتهم إلى الله، وإن قصروا نحوه، أو فرطوا في حماية ذرات ترابه، فقد خسروا خسراناً مبيناً، في الدنيا والآخرة، وبئس المصير.

الإسراء:

لم يقتصر الربط بالغ الأهمية بين المسجدين الحرام والأقصى على الترتيب الزماني في الوجود والسبق فيه، بل هناك وجوه أخرى ذات أهمية على هذا الصعيد، ومن ذلك معجزة الإسراء التي سمى الله تعالى سورة قرآنية بها، وبدأ أولى آياتها بالحديث عنها، فقال تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} (الإسراء: 1)

وحادثة الإسراء لها شجونها وأبعادها، والمقام هنا يقتضي الاقتصار على الوقوف عند البعد المكاني فيها، فهي انطلقت من المسجد الحرام، وانتهت عند المسجد الأقصى، وهكذا الرحلات الجوية والبرية والبحرية تبدأ من نقطة انطلاق مكاني، وتنتهي عند نقطة مكانية أخرى، فالذي يسافر على متن خطوط جوية معينة، يحدد له في تذكرة السفر مكان الانطلاق ومكان الوصول، حسب الاتفاق المبرم بينه وبين مكاتب تلك الخطوط، لكن رحلة الإسراء لم يبرمها المسافر محمد، صلى الله عليه وسلم، بنفسه، وإنما كان لها ترتيب رباني، بدليل أن الله تعالى لم يقل سافر محمد أو سرى، وإنما قال (أُسري به)، فهو لم يكن صاحب القرار، ولا القدرة بالذي جرى، من هنا يستوعب المؤمنون الخوارق التي تخللت تلك الرحلة الميمونة، ومنها اختيار نقطتي الانطلاق والوصول، فلماذا من المسجد الحرام في مكة؟ ولماذا إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس؟ فالنبي، صلى الله عليه وسلم، كان في أثناء البدء بتنفيذ تلك الرحلة

مشغولاً بالدعوة وتبليغها، ويعاني ويكابد من عنت الذين يصدونه عنها، ولم تكن لديه سعة من الوقت ليفكر في رحلات من هذا القبيل، قد تضطره لو قام بها بجهده الشخصي إلى استغراق عشرات الأيام ذهاباً وعودة، فكيف تم الأمر في جزء من ليلة؟!

فالذهاب إلى المسجد الأقصى في تلك الفترة له من الدلالات ما له، وهي جديرة بالتأمل والتدبُّر.

المعراج:

بعد أن وصل الرسول، صلى الله عليه وسلم، المسجد الأقصى قادماً من المسجد الحرام في رحلة الإسراء، بدأت رحلة المعراج إلى السماوات، فعن أَنَسِ بن مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وهو دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قال: فَرَكِبْتُهُ حتى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قال: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ التي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، قال: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فيه رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ، عليه السَّلَام، بِإِنَاءٍ من خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ من لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فقال جِبْرِيلُ، صلى الله عليه وسلم: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إلى السَّمَاءِ).(*)

وتجاه هذا الحدث الجلل يتساءل المتحدثون عن الإسراء والمعراج دائماً عن الحكمة من انطلاق المعراج من المسجد الأقصى ليلة الإسراء والغاية منه، وكان يمكن لهذه الرحلة من الأرض إلى السماء أن تتم مباشرة من مكان إقامة الرسول، صلى الله عليه وسلم، في مكة إلى السماء، لكن ما حدث يستثير التفكير حول أهمية بيت المقدس عند الله تعالى، الذي انتهت إليه رحلة الإسراء، وانطلقت منه الرحلة إلى السماء، التي فرض الله خلالها على المسلمين عمود دينهم وهي الصلاة، فعاد الرسول، صلى الله عليه وسلم، بقرار فرض الصلاة، وهنا يحق للمرء أن يسائل المسلمين الذين يؤدون الصلاة، ألم يخطر ببالهم حال المسجد الأقصى؟

* صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى السماوات وفرض الصلوات.

ألم يحثوا أنفسهم على أداء الواجب تجاهه؟ ألم يعلموا بحاله؟ وما أدراك ما حاله؟ أسير في أيدي الظالمين، يدنسونه آناء الليل، وأطراف النهار، في الغدو والآصال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المساجد التي تشد إليها الرحال:

تتساوى المساجد في فضل التعبد فيها وأجره، إلا مساجد ثلاثة، عظمها الله تعالى، وخصها في إباحة طلبها وقصدها، طلباً لمزيد من المثوبة، فالصلاة في غيرها ثوابها واحد، بينما في هذه الثلاثة يتضاعف أجرها، فيصح السفر إليها بقصد التعبد فيها، طلباً لمضاعفة المثوبة، بينما لا يصح قصد غيرها طلباً لفضل الوصول إليها، وتحصيلاً لمضاعفة الأجر على الصلاة فيها، بدليل ما روي عن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ؛ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ، صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى).[1]

وبعض المشككين في مكان وجود المسجد الأقصى، يرد عليهم حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذي وضح فيه أنه الموجود في القدس، والتي كان يطلق عليها آنذاك إيلياء، فعن أَبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (إنما يُسَافَرُ إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ؛ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ إِيلِيَاءَ).[2]

فهذه وقفة تأملية عند بعض معززات لفت أنظار المسلمين حجاجاً وغيرهم إلى أهمية المسجد الأقصى المبارك ومكانته بين المساجد الأولى في الأهمية الدينية لدى الله والمسلمين، عسى أن يكون بهذا التذكير نفع لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، اللهم قد بلغنا، اللهم فاشهد.

1. صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.
2. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

كلمة العدد

إياكم والهرج

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله/ رئيس هيئة الإدارة والتحرير

فُجعْنا وكل غيور من حوادث القتل المفزعة، التي توالى وقوعها مؤخراً في مواقع عديدة من بلادنا الحبيبة، وللأسف الشديد أن القاتل والمقتول من أبنائنا وإخواننا، وسمة معظمها الرعونة القاتلة، والاستهتار بحرمة الدماء، واتباع العصبيات، والانسياق وراء الغضب وشره، والعنجهيات وويلاتها، وإذا ما أضيف لهذه الحالات البغيضة ما يحدث من استهتار بأرواح أبناء شعبنا من قبل عدوه، حيث لا يكاد يوم يمر دون أن يرتقي بسبب بطشه شهداء تلو شهداء، من الشباب والشيب، والنساء والرجال، حتى الأطفال الرضع، والشيوخ الركَّع، لم يسلموا من وبال استهداف آلات القتل والدمار المعادية، وبالإضافة إلى هذين الجانبين هناك القتل الممارس ضد أبرياء الناس في ربوع بلاد العرب والمسلمين بين فئات متناحرة، وكلها يدَّعي الوصل بالحق والطهر، وهما من غالبيتهم براء، والحق لا يقر لأي من هؤلاء بذاك.

وهناك القتل الذي يستهدف آمنين حتى من غير المسلمين في بقاع عديدة من أنحاء الدنيا، وبعضه يمارس -وللأسف- باسم الدين، بل باسم الإسلام والمسلمين، فحالات القتل كثرت، سواء ما كان منه جماعياً في الطائرات والأماكن العامة، أم فردياً خلال شجارات مختلفة، أم تربص بإنسان، بسبب خصومة، أم من أجل سرقة، أم غير ذلك من الأسباب.

في خضم هذه الموجات المتلاطمة من جرائم القتل المروع، يتساءل المرء عن مدى شمول مجموع حالات القتل المشار إليها أعلاه في مضمون مفهوم الهرج الذي أخبر الرسول، صلى الله عليه وسلم، أنه علامة من علامات الساعة، وفسر، صلى الله عليه وسلم، كثرته بانتشار القتل وشيوعه، فعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال النبي، صلى الله عليه وسلم: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وهو الْقَتْلُ الْقَتْلُ، حتى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ).[1]

والهرج في اللغة هو الفتنة والاختلاط، وأصل الهرج الكثرة في الشيء، والهرج القتل بلسان الحبشة.[2] فالقتل وكثرته من علامات قرب قيام الساعة، وهو من السلبيات التي ينبغي الحذر من اقترافها.

فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله:

اقتراف جرائم القتل وجد منذ وجدت الأسرة الإنسانية الأولى على وجه البسيطة، حيث قتل ابن آدم أخاه، وعن بعض مجريات هذا الحدث الفظيع، يتحدث القرآن الكريم، فيقول جل شأنه: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ* لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ* إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ* فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ* فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ

1.صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات.
2. عمدة القاري، 2 /92.

هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} (المائدة: 27-31)

والحوار الذي سبق وقوع جريمة القتل الأولى في حياة البشر، يشير إلى بعض الأبعاد النفسية واللفظية والأخلاقية التي تخللت مجريات هذا الحدث الجلل، فالمستهدف بالقتل عبَّر عن نوازع الخير المخزونة في نفسه، والتي منها تنطلق أقواله وأفعاله، فقال: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وقال: إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وحاول أن يردع القاتل عن ارتكاب جريمته، وأخيراً خلص إلى قول: إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ. وكل هذا لم يمنع الشر أن يقع، فحدثت الجريمة المشهودة التي يذكرها الناس من أبناء آدم عبر تاريخ وجودهم المتواصل والطويل.

والذي تسوغ له نفسه اقتراف جريمة قتل بحق بريء من البشر، إنما هو من المبشرين بالنار، وبئس المصير، كما بشر بها هابيل أخاه وقاتله قابيل.

ومنذ وقوع جريمة القتل الأولى في تاريخ البشرية، أرسى الله -جل شأنه- قاعدة ثواب إنقاذ النفس البريئة وإثم قتلها، فقال عز وجل: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ}(المائدة: 32)

وكثيرة هي الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية التي تبشع جرائم القتل الظالم، بغض النظر عن اسم القاتل أو المقتول، وعقيدتهما ولونهما ولغتهما وجنسيتهما، وحيث ما زال الاستهتار يقع خاصة بحق دماء المسلمين من قبل إخوانهم في الدين، فقد يفيد التذكير ببعض المنفرات الدينية من هذه الخطايا.

كل المسلم على المسلم حرام:

المسلم الحق يجد ما يردعه عن قتل أخيه، والانتقاص من قدره والحط من حقوقه؛ لأنه يعلم حرمة المسلم على أخيه، كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم: (لَا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى ها هنا، وَيُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ من الشَّرِّ، أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)[1]

فكل المسلم على المسلم حرام، وليس جزؤه، فدمه وماله وعرضه حرام، والذين يتجاهلون هذا التحريم، إنما يميلون عن جادة الحق، ولو زعموا أنهم من أتباعه وأنصاره، حيث لن ينفع مثل هذا الزعم الذين تلطَّخت أيديهم بدماء الأبرياء، وتجرأوا على الله في إزهاق أرواح منحها الله الحياة، فاعترضوا سبيلها ببطشهم وسلاحهم، فباءوا بغضب من الله، واستحقوا جهنم التي أعدها الله للقتلة الظالمين، فقال جل شأنه: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً} (النساء: 93)

فجزاء القتل الظالم الخلود في جهنم، وغضب الله ولعنته، وفوق ذلك عذاب عظيم، الله أعلم بكنهه وشكله ووقعه.

ومعلوم أنه يحرم قتل المؤمن إلا إذا ارتكب جرائم عقوبتها القتل حسب ما حددت الشريعة، وتلك الجرائم محدودة بينة، فعن عبد اللهِ قال: قال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم: (لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله، وَأَنِّي رسول اللهِ، إلا بِإِحْدَى ثَلاثٍ؛ الثَّيِّبُ الزَّانِي، والنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، والتَّارِكُ لدينه، المفارق لِلْجَمَاعَةِ)[2]

1.صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.
2. صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم.

القاتل والمقتول في النار:

قد يظن المتناحرون من المسلمين أن اقترافهم القتل ضد أبناء دينهم مبرر، والحقيقة أن الشيطان يسول لهم ذلك؛ لأن الرسول، صلى الله عليه وسلم، توعد القاتل والمقتول بنار جهنم، فعن الْحَسَنِ قال: (خَرَجْتُ بِسِلَاحِي لَيَالِيَ الْفِتْنَةِ، فَاسْتَقْبَلَنِي أبو بَكْرَةَ، فقال: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قلت: أُرِيدُ نُصْرَةَ ابن عَمِّ رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: قال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم: إذا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَكِلَاهُمَا من أَهْلِ النَّارِ، قِيلَ: فَهَذَا الْقَاتِلُ، فما بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قال: إنه أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ)[1]

وفي الأحاديث المختارة، عن ابن عباس أن رجلاً أتاه، فقال: (أرأيت رجلاً قتل رجلاً متعمداً، قال: جزاؤه جهنم، خالداً فيها، وغضب الله عليه، ولعنه، وأعد له عذاباً عظيماً، قال: لقد نزلت في آخر ما نزل، ما نسخها شيء حتى قبض رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وما نزل وحي بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: أرأيت إن تاب، وآمن، وعمل صالحاً، ثم اهتدى، قال: وأنى له التوبة؟ وقد سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: ثكلته أمه، رجل قتل رجلاً متعمداً، فجيء يوم القيامة آخذاً قاتله بيمينه، أو يساره، وآخذاً رأسه بيمينه، أو شماله، تشخب أوداجه دماً في قبل العرش، يقول: يا رب؛ سل عبدك فيمَ قتلني)[2]

وأي مساعدة يقدمها المسلم لشخص أو جهة تؤدي إلى الإعانة على قتل مسلم، إنما هي مشروع شر وإثم، ومآله وبال وخسران، فرب العزة يقول: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً} (النساء: 93)

1. صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما.
2. الأحاديث المختارة، 10/ 45-46.

والذي يخسر رحمة الله، فقد خسر نفسه، وباء بالفشل والخسران المبين، ومعلوم أن الصالحين لا يدخلون الجنة بأعمالهم، وإنما برحمة الله، فكيف بالذين كتب الله عليهم اليأس من رحمته؟ والعياذ به سبحانه من ذلك. والقتل بغير حق من وَرَطاتِ الأمور يوم القيامة، فعن عبد اللهِ ابن عُمَرَ، قال: (إِنَّ من وَرَطَاتِ الْأُمُورِ التي لا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فيها، سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ)[1]

والدماء أول ما يقضى بشأنها بين الناس يوم الحساب، فعن عَبْد اللهِ، رضي الله عنه، قال النبي، صلى الله عليه وسلم: (أَوَّلُ ما يُقْضَى بين الناس بِالدِّمَاءِ)[2]

فالقتل الظالم من أبشع الآثام وأكبر الكبائر، فعن ابن عُمَرَ، رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم: (لن يَزَالَ الْمُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ من دِينِهِ، ما لم يُصِبْ دَمًا حَرَامًا)[3]

والقتلة من الذين يبغضهم الله، فعن ابن عَبَّاسٍ، أَنَّ النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (أَبْغَضُ الناس إلى اللهِ ثَلاثَةٌ؛ مُلْحِدٌ في الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ في الإِسْلامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ)[4]

وهو من السبع المهلكات، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قالوا: يا رَسُولَ اللهِ؛ وما هُنَّ؟ قال: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ التي حَرَّمَ الله إلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يوم الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ).[5]

1. صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: {ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم} (النساء: 93).
2. صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: {ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم} (النساء: 93).
3. التخريج نفسه
4. صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق.
5. صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون...} (النساء:10).

إثم قتل المعاهد:

قد يظن من يقرأ هذه السطور أن الإسلام يشدد على تحريم قتل المسلمين، ويهون أو يسوغ قتل غيرهم بغير حق، والحقيقة غير ذلك، إذ إن قتل غير المسلم بغير حق جريمة ينكرها الإسلام، ويحاسب على اقترافها، فعن عبد اللهِ بن عَمْرٍو، رضي الله عنهما، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (من قَتَلَ مُعَاهَدًا، لم يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ من مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا).(*)

والنفس البشرية دمها مصون، والله حين مدح المؤمنين، عدد من صفاتهم أنهم لا يقتلون النفس التي حرم الله، فقال جل شأنه: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً} (الفرقان: 68)

ولفظ النفس عام، يشمل كل نفس لم ترتكب جريمة تستحق العقاب بالقتل.

القصاص من القاتل:

حتى لا يستشري القتل، وحتى تطوق جرائمه، فرض الإسلام القصاص من القاتل الذي تثبت إدانته بجريمة القتل، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(البقرة: 178)

وتطبيق هذه العقوبة يقي المجتمع من عادات الثأر، وقتل الأبرياء بجريرة غيرهم، من هنا كان الوصف القرآني الرائع للقصاص بأنه حياة، فقال تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة: 179)، فالقصاص يقي المجتمع من اتساع نطاق القتل، ويحمي

* صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم.

البريء من أن يؤخذ بذنب غيره، ولا يكون القتل قصاصاً إلا لقاتل اعتدى على غيره بالقتل، أما من كانت جريمته دون ذلك، فيعاقب عليها بالمماثلة التي فرضها الله جل ذكره بقوله: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}. (المائدة: 45)

وإضافة إلى ذلك، فقد نهى الله، صاحب الحق بالقصاص، عن الإسراف في القتل، فقال جل شأنه: {وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً} (الإسراء: 33)

والقصاص يكون حال القتل العمد، أما إذا عفا وليُّ المقتول، وحال القتل الخطأ فتكون الدية، لقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً} (النساء: 92)

سائلين الله العلي القدير أن يقي أبناء أمتنا شر القتل وويلاته، فلا يقعون ببراثنه ظالمين معتدين، ولا يقع عليهم ظلماً وعدواناً.

مناسبة العدد

وأذن في الناس بالحج

محمود حافظ إسماعيل

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، جمع من المزايا ما ليس في غيره من العبادات، وذلك لأن وجوب أي عبادة على العبد، إما أن تكون حقاً للعبودية، أو شكراً لنعم الله عليه، وفي الحج إظهار للعبودية، وشكر للنعمة، قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: (الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلا الجَنَّةُ).(*)

وإن بعض العبادات في الإسلام بدنية، وبعضها مالية، وعبادة الحج جمعت بينهما، وإن فريضة الحج لم تجب على الشخص المكلف، إلا عند وجود المال الكافي، وصحة البدن، ومن هنا؛ كان في أداء فريضة الحج شكر لنعمة الله سبحانه على المسلم، ولما كانت أعمال الحج تؤدى بعناء ومشقة لطول المسافة، وخاصة إذا نأت الجهات عن الأماكن المقدسة، لذا فرض الله تعالى الحج مرة في العمر، على كل فرد من عباده المسلمين، ذكراً كان أم أنثى، متى استطاع أن يؤديه.

والكعبة أول بيت وضع للناس لعبادة الله عز وجل، وهي أشرف البيوت التي أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه، ومما يدل على عظمة الكعبة أن الناس قبل الإسلام من عهد إبراهيم، عليه السلام، كانوا يحترمونها ويجلّونها، ويأتون إليها في موسم الحج من كل فج عميق،

* مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة، رضي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده على شرط الشيخين.

يتطوفون بها، ويتبركون بآثارها، ويعتقدون أنها بيت الله المقدس.

قال تعالى مخاطباً سيدنا إبراهيم: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ...}.(الحج: 27-28)

ولما جاء الإسلام زاد الكعبة تعظيماً ورفعة، فأجَلَّها المسلمون في بقاع الأرض، واتخذوها في الصلاة قبلة لهم، وفرض الله على المستطيع حجاً إليها، وجعل ذلك خامس أركان الإسلام. والحج فرضه الله تعالى ليكون بمثابة مؤتمر إسلامي، يجتمع فيه المسلمون كل عام مرة من أنحاء الأرض؛ ليقرروا مصيرهم، ويوحدوا كلمتهم، غير أننا -معشر المسلمين- فاتنا إدراك هذه الغاية الشريفة، وقصرنا وجهة نظرنا في الحج على أداء الفريضة فقط.

فلو أن المسلمين أدركوا جميعاً حكمة اجتماعهم في هذه البقعة المباركة على اختلاف أجناسهم، وتباين لغاتهم وعاداتهم، واتفقوا على لمّ شعثهم، وتوحيد كلمتهم، وتقوية الرابطة الدينية بينهم، ونبذوا كل ما يوجد من خلاف بينهم، لطهرت قلوبهم، ورضيت نفوسهم، وحققوا قول الرسول الكريم، صلّى الله عليه وسلّم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى).(*)

ولو أنهم عملوا معاً للمصلحة العامة، ووحدة الكلمة، ونبذوا الخلافات، وتعاونوا على البر والتقوى، لكان لهم شأن عظيم غير ما هم فيه الآن من الضعف، والتأخر، والفرقة، وعجزهم عن مواكبة الأمم في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}. (التوبة: 105)

* صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

مناسبة العدد

الجانب الروحي في أداء مناسك الحج

محمد ذياب أبو صالح/ عضو الهيئة الإسلامية العليا

حكمة مشروعية الحج:

الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، وأثره واضح في حياة المسلمين في دينهم ودنياهم، حيث يجتمع المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها، يؤدون ركناً يفرضه الله على كل مسلم، يستطيع الوصول إلى تلك الديار الطاهرة، والأماكن المقدسة، فيشهد المسلمون في هذا التجمع أكبر مؤتمر إسلامي، يطرحون فيه مشكلاتهم، ويتباحثون في حلولها، ويتبادلون منافعهم، ويتعرفون إلى بعضهم بعضاً، فيجتمع الأبيض والأسود، وتلتقي الألسن المتباينة واللغات المختلفة، وجميعهم يسعى وراء هدف واحد، ويتحرك للغاية نفسها التي وجَّههم إليها رب العزة، تتنسم هذه الأمة مواطن الدعوة، ومراحل بدئها، وموقع نشرها، وخطوات الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الغر الميامين، فيأخذون الدروس والعبر من هذا العمل الجليل.

هذه أحكام يستلهمها الحاج من أداء هذا الركن، وهي في ظاهرها أمور عظيمة تفيد الأمة، لكن ليس المقصود من هذا النسك هذه الأحكام الدنيوية فقط، بل إن هناك جوانب روحية عميقة الأثر، وبعيدة المرام، يستلهمها المسلم من أداء هذا النسك، وعلى جانب آخر، وهو الأهم من هذه النظرات أن العبادات لا تعلل.

وقد فرض الله هذا الركن على عباده المؤمنين، وجعله من أركان الإسلام، ومن أفضل الأعمال، وقد رغّب الشارع في أداء هذا الركن العظيم، عن أبي هريرة، رضي الله عنه: سئل رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ)(*)، والحج المبرور هو الذي لا يخالطه إثم.

الجانب الروحي في مناسك الحج:

للحج أركان وسنن وتطوع، فما من ركن أو سنة أو تطوع في هذا النسك، إلا وفيه حكمة بالغة، وروحانية عميقة، علاوة على أنها عبادة.

أولاً ـ الإحرام: وهو نية الدخول في أعمال الحج، ويبتدئ الإحرام بالاستحمام، والوضوء، والدخول في النية، قبل الوصول إلى الميقات، فما الأمور الروحية التي تتجلى في هذا الركن؟

أ ـ الظاهر المادي: حيث إن الإنسان يستحم، فتزول عن جسده أدران القذارة والنجاسة جميعها، وتبرز عليه أعمال الطهارة في البدن واللباس، ويدخل في الوضوء، الذي هو مدخل إلى عبادة النسك والصلاة، أما على الجانب الروحي، فقد يهيئ نفسه للدخول في هذا النسك العظيم، فتتجرد نفسه من الآثام والمعاصي، ويستعد لملاقاة وجه الله سبحانه وتعالى، فيغشاه الخشوع، وتنكمش نفسه طاعة لله، ورغبة في ثوابه، مهما كانت نفسية الإنسان في هذا الموقف الكريم وشخصيته.

يبدأ الإنسان بالتجرد من ملابسه العادية الدنيوية، سواء أكان إنساناً عادياً أم زعيماً، ويدخل في مرحلة جديدة، من مظاهرها التجرد من الدنيا، وبهارجها، فيستشعر الحاج في هذا الموقف العظيم أمرين:

* صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل.

الأمر الأول: لباس الموت حينما تخلع عنه ملابسه، ويلف بأثواب غير مخيطة.

الأمر الثاني: المساواة للجميع أمام الله سبحانه وتعالى، سواء أكان ذلك في هذه الدنيا، أم كان هذا الشأن يوم القيامة، فتتساوى الخلائق في هذا المشهد الروحي.

يبدأ المحرم بالتلبية والدعاء، وفي هذا، فإن الحناجر تجأر إلى بارئها ملبية قائلة: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)، فالدخول في هذا الدعاء دليل أكيد على وحدة الأمة في العقيدة، والفكر، والهدف، والاستجابة لله من موطن النفير، صوب هذه الأماكن المقدسة، فيتساوى العربي والعجمي في ترديد هذه التلبية، وتلفظ بلسان عربي واحد، وترفع الأصوات، ويدخل الحاج في روحانية عميقة على طول المسافة التي يمر فيها.

فلبيت مشتاقاً وهلَّلت صـوبه ... أساهر نجم الليـل في السروات

وضجَّت بأعماق الحناجر عالياً ... رواجع أصـوات بكل لغـات

فناجت ملائكة السماء إلـهها ... وطافت على الحجاج بالبركات[*]

والإحرام والتلبية مرتبطان بجد الأنبياء إبراهيم الخليل، عليه السلام، عندما لبى دعاء ربه، واستجاب لأمره، ورفع قواعد الكعبة، هو وولده إسماعيل، عليهما السلام، قال تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} (الحج: 26-29)

* ديوان عاشق الأرض، محمد ذياب أبو صالح ، الخليل، مطبعة الاعتصام، 2016، ص 31.

ثانياً ـ الوقوف بعرفة: الوقوف بعرفة من أركان الحج، وهو ركن أصيل لقوله صلى الله عليه وسلم: (الحَجُّ عَرَفَةُ)[1]، وهو سنة أبينا إبراهيم الخليل، عليه السلام، عن مربع الأنصاري قال: إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (كُونُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ إِبْرَاهِيمَ).[2]

وقد ذكروا وجوهاً عدة في سبب تسمية عرفة بهذا الاسم، منها:

أن جبرائيل كان يُطوف إبراهيمَ في المشاعر، ويعلِّمُه المواضع، وهو يقول: عرفت، ومنها أن آدم وحواء بعد الهبوط، عَرفَ أحدُهما الآخر في هذا المكان، ومنها أن الناس يتعارفون في هذا المكان، وسمي عرفة بهذا الاسم؛ لأن الخلائق تتعارف عليه في هذا اليوم العظيم، وقيل: إن الخلائق يعترفون بذنوبهم في ذلك الموقف، وهو مكان بارز وواضح وظاهر للعيان، فقد وقف عليه الأقدمون من الأنبياء والمرسلين، ولأنه أصبح معروفاً لدى المؤمنين على مر الزمان بأمر الله، فهو مشهور؛ لأن عُرْفَ الشيء أعلاه، وعُرْفُ الدابة أعلاها أيضاً، فهو مكان معروف تتعارف عليه الخلائق، وأن الله سبحانه وتعالى يتباهى بعباده في هذا اليوم، وأن الشيطان يصغر ويندحر في هذا المشهد الكريم.

فكيف بك أيها المؤمن إن وقفت في هذا المشهد العظيم والموقف الكريم، وأكرمك الله سبحانه وتعالى، وأديت هذا النسك، ونظرت إلى الخلائق والروحانية العميقة في هذا الجمع الغفير من كل حدب وصوب، وهم يلبون ويهللون ويدعون ويجأرون إلى الله بالدعاء والتلبية؟! فهل يكون هناك شك في نفسك، وران على قلبك مما تعيش من أجواء روحية؟!

---

1. سنن الترمذي، كتاب الحج عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، وصححه الألباني.
2. سنن الترمذي، كتاب الحج عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الوقوف بعرفات والدعاء بها، وصححه الألباني.

إنها والله قمة الإيمان، ورسالة السماء، التي لا يخالطها زيغ أو ريب.

وهناك مكملات لهذا الركن منها:

أولاً ـ الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة: وتكون الإفاضة بعد غروب شمس يوم عرفة، وتكون بعد السير قليلاً، اقتداء بالأنبياء والمرسلين، عليهم صلوات الله أجمعين.

ثانياً ـ المبيت بمزدلفة ولقط الجمار ورميها: وهذا اقتفاء لأثر جد الأنبياء إبراهيم الخليل، عليه السلام، حيث التقطها، ورمى بها إبليس اللعين، وذلك حينما تراءى له عندما همَّ بذبح ولده إسماعيل، امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى؛ ليدخل على حجه شبهة أو فتنة بمعصية، قال تعالى: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} (الصافات: 101-107)، فانقاد الابن البار للأب الرحيم، للأب المبتلى؛ تنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالى، بيد أن إرادة الله حالت دون ذلك، فوسوس لهما الشيطان أن يحجما عن الأمر، فأمر الله نبيه إبراهيم أن يرميه بالحجارة، طرداً له، وقطعاً لأمله، فتراءى له في ثلاث مراحل، وهو ما يعرف لدينا بالجمرة الكبرى، والوسطى، والصغرى، أي موضع رمي (إبليس اللعين)، وافتداه بكبش حينئذ؛ اتباعاً لأوامر الله، ودفعاً للشر عن أنفسنا، وإظهار الرقة والعبودية والطاعة لله سبحانه وتعالى.

ثالثاً ـ الطواف بالبيت العتيق: الطواف سنّة جد الأنبياء إبراهيم الخليل، عليه السلام، قال تعالى: {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}(الحج: 29)

والطواف بالبيت العتيق، كان بعد أن عهد الله سبحانه وتعالى إلى جد الأنبياء إبراهيم الخليل، عليه السلام، هو وابنه إسماعيل، أن يرفعا القواعد من البيت، وأن بيت الله كان منذ

أن خلق الله الكون، قال تعالى: { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ} (آل عمران: 96)، وقد أخبرنا الرسول الكريم بهذا الشأن حينما سأله أبو ذر الغفاري، فقال له: (يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ بَعْدُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ).[1]

بعدما تمَّ البناء أخذ يطوف حول هذا البيت سبعاً، وهذا اقتفاء بالملائكة الكرام، الذين يطوفون حول البيت المعمور في السماوات العلا، لما روي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم سأل جبريل، عليه السلام: (يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم)[2] يقول سبحانه وتعالى في هذا الشأن: {وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ}.(الطور: 1-4)

إننا نطوف حول هذا البيت اتّباعاً لسنّة جد الأنبياء، فنستدل على أن هذا البناء كان منذ أن خلق الله الأرض، ومن عليها، فهو -أصلاً- بيت عبادة، حيث اتخذ منه العرب في الجاهلية مكاناً لأصنامهم.

رابعاً ـ السعي بين الصفا والمروة: دليل مشروعيته، قوله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا}(البقرة: 158)

والسعي هو السير بين جبلي الصفا والمروة، وأن أصل هذا النسك يرجع إلى سعي هاجر أم سيدنا إسماعيل، وزوج سيدنا إبراهيم الخليل، عليهم السلام، بين الصفا والمروة، عندما كانت تبحث عن الماء، حيث كان يتراءى لها السراب؛ لتسقي ولدها إسماعيل، عليه السلام، فتتردد بين هذين المكانين إلى أن انبجست المياه من بين قدميه الشريفتين، حيث وضعه أبوه

1. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب منه.
2. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى السماوات، وفرض الصلوات.

إبراهيم بأمر الله في هذه المنطقة، التي هي غير ذات زرع؛ ابتلاء واختباراً لصدق إيمانه، قال تعالى: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ}(إبراهيم: 37)، وقوله تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}.(البقرة: 124)

فروح العبادة من السعي بين الصفا والمروة، تنبثق باقتفاء أثر هاجر زوج إبراهيم الخليل، عليهما السلام، فنحن كمسلمين ما زلنا حتى وقتنا الحاضر، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، نؤدي هذه المناسك، ونسير على خطى جد الأنبياء إبراهيم الخليل، ونتبع هداه؛ لأنه هو الذي سمانا مسلمين، فليس الهدف من زيارة الأماكن المقدسة في الديار المباركة هو أداء هذه المناسك فقط، والوقوف في هذه المشاعر، والعودة دون تعمق، بل إن الهدف منه دروس وعبر، ففي كل موقف، وفي كل منسك، هناك روحانية وفلسفة، يجب على الإنسان المسلم أن يتعمق فيها؛ لتكون له مناراً وعبرة خالدة، ترسخ في ذهنه، وتتعمق في قلبه.

وهذا هو الإسلام بروحانيته وفلسفته وعمقه، الذي يترسخ في القلوب، ويستقر في الأفئدة، ويتعمق في النفوس، فيبقى خالداً؛ لأن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، فيرجع المرء بعده كيوم ولدته أمه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

مناسبة العدد

رحلة لا تنسى

كمال بواطنه/ مدير دائرة الكتب والمطبوعات التربوية/ وزارة التربية والتعليم

من الرحلات التي لا تنسى، وتعيش مع المسلم طول حياته، تلك الرحلة التعبديّة التي يذهب فيها صاحبها إلى الديار الحجازيّة؛ لأداء فريضة الحجّ، حيث المسجد الحرام والكعبة المشرفة والمشاعر... ومن يزرها مرّة يعاوده الشوق، فيودّ لو يزورها مرّات عديدة، وهيهات أن يشبع!! وحقيقة الأمر، فإنّ الذي يزور تلك الأماكن المقدسة، يتبيّن كيف أنّ الله -سبحانه- يصطفي ممّا يخلق ما يشاء، ومن يشاء، فقد قضى أن يخرج النور من هذه الأماكن المقفرة أو شبه المقفرة، والتي لا مقارنة بينها وبين أماكن أخرى ممرعة، تفيض بالخضرة والنضرة، فمكّة بواد غير ذي زرع، والمدينة المنوّرة فيها زراعات محدودة، وما يهطل عليها من أمطار قليل، ويتفاوت من سنة إلى أخرى.

هذه قدرة الله التي جعلت الناسَ من كلّ أقطار الدنيا، يتلهّفون لزيارة تلك البقاع الطاهرة؛ ليؤدّوا حجّاً أو عمرة، أو زيارة مسجد النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، حيث يثوي جسده الطاهر، وهناك يفيض الله على القاصدين بمضاعفة الحسنات، وغفران السيئات.

وحقيقة الأمر أنّ المسلم بحاجة ماسّة إلى التعرّف لتلك الأماكن التي شهدت مولد الهدى والنور، والتي شرفت بأن وطئت على ثراها قدما أبي الأنبياء إبراهيم، عليه السلام، وابنه

إسماعيل، عليه السلام، ومن بعدهما قدما حفيدهما خاتم الأنبياء والمرسلين محمد، صلى الله عليه وسلّم، وأقدام من اختارهم الله؛ ليكونوا أصحابه، وأنصار دعوته.

والمسلم عندما يزور تلك الأماكن، يزداد إيماناً مع إيمانه، ويُكبر تلك الهمم الشامخة، والهامات العالية، التي عاشت في هذه الظروف القاسية جدّاً، والتي قهرت الصحراء، ونشرت نور الله في الخافقين، والمسلم حين يقارن جهده بجهدهم يشعر بالاستحياء، والتقصير تجاه دينه، ويزيد عزمه ليتشبه بهم، ويحاول الاقتداء واللحاق بهم.

حقاً؛ إنّهم وجدوا في خير قرن، وقد يصعب على غيرهم اللحاق بهم، ولكنّ المجال مفتوح أمام من يشمّر عن الساق، ويحاول اللحاق، وإنّنا نشهد لهم جميعاً بالفضل، ونشهد أنّهم بلّغوا الرسالة، وأدّوا الأمانة، وأخلصوا النصيحة للأمّة.

هناك تصدق النيّات، وتسكب العبرات، وتغفر الخطيئات، وتقال العثرات، وتنال الدرجات، ويرجع الحاجّ مولوداً جديداً براءً خالياً من كل ذنب، وما عليه إلا أن يحافظ على النقاء والطهر، وأشهد أنّنا عايشنا أناساً رجعوا من حجّهم، وظلّوا في سيرة حسنة، وعمل صالح حتّى أتاهم اليقين.

هناك تجد غالب وفد الله على أخلاق مرضيّة، فتلمس منهم المحبّة والإيثار، ولين الجانب، وعون الضعيف، وإرشاد الضالّ...

هناك تجد إقبالاً على عمل الخيرات؛ فمن طائف، ومن راكع وساجد، ومن متصدق، ومن تالٍ للقرآن، ومن واعظ أو متّعظ...

هناك تحسّ أنّ أمّة الإسلام أمّة عظيمة لو وجدت من يحرّك الهمم الهامدة، ويشغّل الطاقات المعطلة أو المعوّقة، ولا ينقص جموع المسلمين إلا القائد الربانيّ الذي يصرف طاقاتهم إلى الخير.

هناك تلمس عظمة الإسلام الذي ينصهر فيه الناس على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم، ولا ميزة لأحد على أحد إلا بالتقوى.

هناك يهيئ العبد نفسه للقاء الله، ولك أن تنظر إلى الوفد، وقد أحرموا بقطعتين غير مخيطتين، تشبهان ما يكفن به الموتى، وفي ذلك تذكير بالنهاية الحتميّة للإنسان، وأنّه مستخلف غير مالك، سرعان ما ينتقل ما استخلف عليه إلى غيره، فيخرج من الحياة بقطن وكفن ليس إلا.

هناك تنحر الأضاحي؛ إظهاراً للتقوى، وإطعاماً للفقير والجائع، وتكفيراً للسيئات، فعند أول دفقة دم يغفر للمضحّي، والله تعالى يقول: {لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} (الحجّ:37).

هناك والحاجّ يؤدّي الشعائر يستحضر ما ترمز إليه كلّ شعيرة، وتراه يذكر ربّه عند أداء كلّ شعيرة، وحتّى إذا ما أنهى أداء الشعائر، فإنّه لا ينقطع عن الذكر، انصياعاً لأمر الله تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} (البقرة:200).

ما أحلاها نفحات الله في تلك الديار، فهناك يطيب الدعاء، وتزكو الأنفس، ويحسّ العبد قربه من باسط الأرض ورافع السماوات!! وكم أتمنى أن ينال كلّ مسلم الفرصة؛ ليكحل عينيه برؤية الأماكن التي تنزّل فيها الوحي على حبيب الحقّ، ولا يعلم إلا الله لوعة المشتاقين الذين تحول القوانين التي وضعها البشر دون الوصول إلى تلك البقاع المباركة.

مناسبة العدد

من دلالات خطبة حجة الوداع

كايد جلايطه/ مساعد مفتي محافظة أريحا والأغوار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

ففي العام العاشر للهجرة النبوية، أعلن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه يريد الحج، فما سمع المسلمون بذلك حتى خرجوا لتأدية الركن العظيم مع النبي، صلى الله عليه وسلم، وسماع بيان الإسلام، في عام التحرير، عن جابر، رضي الله عنه، قال: (إِنَّ رَسُولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ...).(*)

في ذلك الموقف المهيب وقف النبي، صلى الله عليه وسلم، مودعاً الأمة بخطبة بليغة وجيزة، فكان لكلماته صدى واسعٌ في قلوب الحاضرين المستمعين؛ لأنها خارجة من قلب نبي يخشى على أمته، كأن الدنيا كلها تنصت إلى ما يقول، إنه دستور حياتهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، في هذه الخطبة أرسى، صلى الله عليه وسلم، مبادئ وقواعد عامة، لخص من خلالها أحكام الدين ومقاصده. فقد أوتي، صلى الله عليه وسلم، جوامع الكلم، يقول ابن القيم، رحمه الله: كان أعذبهم كلاماً، وأسرعهم أداءً، وأحلاهم منطقاً، حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع

* صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، صلى الله عليه وسلم.

القلوب، ويسبي الأرواح، ويشهد له بذلك أعداؤه، وكان إذا تكلم بكلام مفصل مبين، يعده العاد، ليس بهذا مسرعاً لا يحفظ، ولا منقطعاً تتخلله السكتات بين إفراد الكلام، بل هديه فيه أكمل الهدي)[1]

كمال الدين:

قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} (المائدة: 3)، نزلت هذه الآية على قلب الحبيب محمد، صلى الله عليه وسلم، لتعلن كمال الدين وتمامه، ولتعلن أن مهمة النبي، صلى الله عليه وسلم، انتهت، وأن حمل أمانة التبليغ من بعده هي للأمة بأسرها، يقول صاحب التفسير المنير: هذه بشارات ثلاث: وهي: (اليوم أكملت لكم دينكم)، (وأتممت عليكم نعمتي)، (ورضيت لكم الإسلام ديناً) ـ تحققت بهذه الآية، مكث بعدها النبي، صلى الله عليه وسلم، إحدى وثمانين ليلة، ثم توفاه الله تعالى.[2]

فهم أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، ما قصدته الآية، فكان لها وَقْعٌ في قلوبهم، فعندما سمعها عمر، رضي الله عنه، بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان، وكأنه استشعر وفاة النبي، صلوات الله عليه وسلامه.[3]

جاءت هذه الآية لتبين قيادة هذه الأمة لأمم الأرض قاطبة، وأنه يجب عليها إقامة العدل الذي أمر الله سبحانه به.

وهنا تجب الإشارة إلى أن الكمال والتمام الوارد في الآية ليس النقصان المقصود والمعروف عند الناس، وإنما هو كمال الأحكام، حيث أصبحت غير قابلة للنسخ، أو التبديل، جاء في

---

1. الجوزية، ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، مكتبة المنار الإسلامية ـ الكويت، ص182.
2. د. الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الطبعة الأولى، 1411هـ 1991م، دار الفكر المعاصر، لبنان ـ بيروت. الجزء 5-6، ص85.
3. الغزالي، محمد، فقه السيرة، الطبعة السابعة ، 1417هـ ـ 1998م، دار القلم ـ دمشق، ص485.

التفسير المنير: ليس المراد بإكمال الدين أنه كان ناقصاً قبل اليوم ثم أكمله، إنما المراد أن الأحكام صارت غير قابلة للنسخ، وأصبحت مؤبدة صالحة لكل زمان ومكان.[1]

وداع بعد الفتح:

لقد شاءت قدرة الله تعالى أن يكون ذلك الخطاب النبوي الشريف، وقد تحررت مكة وقتها من الجاهلية وأدرانها، فأصبحت خالية من الشرك والشركاء. بعد أن تحطمت أصنام الجاهلية، وسقطت مظاهرها، فأصبح دين التوحيد هو الدين الحاكم والظاهر والواضح، وأصبحت للإسلام دولة تميزه. فبدأ، صلى الله عليه وسلم، في ذلك الموقف المهيب خطابه: (أيها الناس؛ اسمعوا قولي واعقلوه) وقد أمر بتهيئة الأسماع والقلوب والعقول لما سيقول، حتى يتم البلاغ، ويعلم أول هذه الأمة آخرها، ويبلغ الحاضر الغائب. عن جرير، رضي الله عنه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال له في حجة الوداع: (استنصت الناس)، فقال: (لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)[2]. في هذه الخطبة ودع النبي، صلى الله عليه وسلم، أمته، فقال لهم: (نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مقالتي فبلغها، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيرَ فَقيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلى مَنْ هُوَ أَفقه منه)[3]. بعد ثلاث وعشرين سنة وهو يبلغ رسالة ربه، يلمح بالرحيل عن الدنيا. ويبين لأمته أحكام الدين، وأصول الشريعة، بعبارات موجزة بليغة. هذه العبارات انطلقت من قلب الرسول، صلى الله عليه وسلم، وفكره وعقله وجوارحه، يبلغ الأمة، ويبين لها أصول الدين وفروعه. يقول الغزالي: والحق أن مشاعر التوديع للحياة والأحياء، كانت تنضح بها بعض العبارات، التي ترد على لسان الرسول، صلى الله عليه وسلم.[4]

---

1. التفسير المنير، ص85.
2. صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء.
3. سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب من بلغ علماً، وصححه الألباني.
4. فقه السيرة للغزالي، ص485.

الأفكار الرئيسة لخطبة الوداع:

1. أكد النبي، صلى الله عليه وسلم، في هذه الخطبة أن الإسلام هو دين التوحيد، وأن تقوى الله عزّ وجل، أساس كل شيء، وهي الطريق الموصلة لرضوان الله تعالى.

2. تحريم سفك الدماء بغير حق: من رحمة الله تعالى على الناس أن من مقاصده حفظ الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال، وأن المؤمنين إخوة في الدين، ولا يجوز أن يعتدي بعضهم على بعض، وأن الأصل في الدماء العصمة، (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا)[1]، وليست الحصانة فقط لدماء المسلمين، بل ولدماء غير المسلمين المسالمين، قال صلى الله عليه وسلم: (لن يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا)[2].

3. الحفاظ على الأمانة، وأنها حمل ثقيل، والتفريط فيها تفريط بالدين، وعلى الإنسان أن يتقي الله ربه فيما استرعاه من الأمانات. (فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها). والأمانة بمفهومها الواسع، هي الحفاظ على الدين وأوامره، والابتعاد عن المعاصي والآثام، والحفاظ على الودائع والأسرار، وتربية الأولاد تربية إيمانية سليمة، والقيام بالأعمال الموكلة إليه خير قيام، والحفاظ على حقوق العباد، وأداء حقوق الله تعالى.

4. إن بعض عادات الجاهلية وتعاليمها فيها من الحقارة ما فيها، حيث إنَّها تخالف تعاليم الدين وأصوله، ومبادئه وقيمه، مما تحمله من عقائد فاسدة، تفسد المجتمع، وتقوض أركانه. ومن ذلك العصبية الجاهلية، لذا جاء التحذير منها ومن الطائفية الممقوتة، (أَلاَ كُلُّ شَيءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ).[3]

1. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، صلى الله عليه وسلم.
2. صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم) (النساء :93).
3. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، صلى الله عليه وسلم.

5. التأكيد على تحريم الربا، وعدم التعامل به، لما فيه من إجحاف بحق الفقراء، وإثراء للأغنياء، أرباب الأموال، دون مشقة أو مسغبة. (وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا، رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ)[1]

6. الدعوة إلى التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه، صلى الله عليه وسلم، والابتعاد عن التدليس والخداع، قال تعالى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ}(التوبة: 37)، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ، ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ شَهْرُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)[2] (وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابَ اللهِ)[3]

7. التأكيد على حقوق النِّساء، والتوصية بهنَّ، والدعوة لإكرامهنَّ، (فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ. فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ، فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[4]

8. شملت أمور الدنيا والآخرة، فقد كانت هذه الخطبة بمثابة بيان عالمي للبشرية كافة.

9. الداعية مهمته البلاغ والهداية من رب العالمين. (ألا قد بلغت) فقال الحاضرون كلهم: (نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت).[5]

ما أجمل ذلك اللقاء! رغم ما فيه من دلالات تشير إلى قرب رحيل المصطفى، صلى الله عليه

1. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
2. صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.
3. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، صلى الله عليه وسلم.
4. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، صلى الله عليه وسلم.
5. التخريج نفسه.

وسلم، لكنه لقاء فيه جمع عظيم من المسلمين، ثمرة ثلاثة وعشرين عاماً من التضحية والفداء والجهاد الطويل، والصبر على الأعداء، وتحقيق وعد الله بالنصر والتمكين في الأرض. حيث فتحت الآفاق لدعوته، صلى الله عليه وسلم، ما أعظمه من لقاء! تعلمت فيه الأمة آداب الإسلام، وفن التعامل، وتعلمت شعائر ومناسك وأخلاق ومعاملات. كانت كلمات وجيزة بليغة، بلغ صداها الدنيا، وسيبقى صداها إلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها، يعلم أصحاب المعاهدات وحقوق الإنسان كيفية تقدير قيمة الإنسان ووجوده. قولاً وعملاً وتطبيقاً على أرض الواقع، لا مجرد قرارات تحفظ في أرشيف هذه الدول، أو لا تطبقها إلا على الضعفاء من الناس، إنَّ عز الأمة في دينها، ونصرها في عودتها لربها. نسأل الله العلي العظيم أن يعيد هذه الأيام الطيبة المباركة على أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، وقد تحققت أمانيها، وعادت إلى ربها، وتحررت مقدساتها، إنه رب ذلك والقادر عليه، {وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (يوسف: 21)

مسائل فقهية

الدر المنثور في معرفة المهم من أحكام القبور

الشيخ إحسان عاشور/ مفتي محافظة خانيونس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد؛

فإننا نلاحظ أنَّ جماهيرَ غفيرةً تشارك في تشييع مَوْتانا، لا سيما الشهداء، وهذا أمرٌ طَيِّبٌ؛ لكن ذلك يُفضي إلى دَوْسٍ كثيرٍ من الْقبور، ورُبَّما الجلوس على بعضها؛ بسبب كثرة القبور، وتزاحُم المُشَيِّعين، كما نلاحِظُ وقوعَ الناس في مُخالفاتٍ شرعيةٍ عند حفر القبور وإنشائها؛ من حيث عُمقُها، ورَفعُها فوق الأرض، والبناءُ عليها، والكتابةُ عليها، فصارت الحاجةُ ماسَّةً إلى بيان جملة من الآداب والأحكام الشرعية المُتعلقة بالقبور، والتي ينبغي لِكُلِّ مُسلمٍ أنْ يَعرِفَها؛ لِيَقِفَ عندَها، ويُعَلِّمَها غيرَه، ولَعَلِّي أستطيعُ بيانَ أهَمِّها في سبعة بنودٍ، كما يأتي:

أولاً ـ احترَامُ القُبُور، وصِيَانَتُها عن الامتهان:

إنَّ القبورَ هي دِيَارُ المَوتى، ومنازلُهُم، وإكرامُ هذه المَنَازِلِ، واحترامُها، مِنْ إكرَامِ سَاكِنِيهَا، وتوقيرِهِم، وهو مِمَّا جاءَتْ بِهِ شريعَتُنَا، ويُمكِنُنا رَصدُ ذلك في النقاط الأربع الآتية:

(أ) نَهَى النبي، صلى الله عليه وسلم، عن الْجلوس على القبور؛ فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ، فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ)(*)؛ لأنَّ القبر فيه إنسانٌ مسلمٌ محترمٌ، وفي الجلوس على قَبْرِهِ إهانةٌ له، فيُحمَلُ النهي على التحريم.

* صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه.

(ب) كما نهى عليه الصلاة والسلام عن المَشي عليها، ووَطْئِهَا بالأقدام؛ أيْ دَوسِها بالأقدام؛ فإنَّهُ أشَدُّ إهانةً للمَوتى مِنْ مُطلَقِ الْجلوسِ عليها، فيكون حراماً.

(ج) ولكنْ يَجوز لِحَافِرٍ، أو دافِنٍ، أو حامِلِ نَعشٍ، إذا ضاق المَكانُ، وتزاحَمَتِ القبورُ، أنْ يَضَعَ قَدَمَيْهِ حَافِيَاً، بين القبور، ويتحَاشَى وَطْأَهَا ما أمْكَنَ؛ لِيَتمَكَّنَ من الحَفْرِ، أو الدَّفْنِ، أو الحَمْلِ، بِقَدْرِ الحَاجَةِ، ولا يَجوزُ ذلك لِغَيْرِ مَنْ يُحتاجُ إليه في حَفرٍ، أو دَفْنٍ، أو حَمْلٍ.

(د) ويَحرُمُ قضَاءُ الحَاجَةِ في المَقابر، أو بين القبور، وكذا إلقاءُ القِمَامَةِ، والقَاذوراتِ، ومياه الجَارِي، والجِيَفِ، ومُخَلَّفَاتِ الحَيوانات والطيور في طرقاتها؛ لِمَا روى عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، رضي الله عنه، أنَّ النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (لأَنْ أَمْشِيَ عَلَى جَمْرَةٍ، أَوْ سَيْفٍ، أَوْ أَخْصِفَ نَعْلِي بِرِجْلِي، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى قَبْرِ مُسْلِمٍ، وَمَا أُبَالِي أَوَسْطَ الْقُبُورِ قَضَيْتُ حَاجَتِي، أَوْ وَسْطَ السُّوقِ)[1]، والْمُرَادُ أنه لا فرق في الحُرمة، والقُبْحِ، والشَّنَاعَةِ بين قضَاءِ الحَاجَةِ وَسْطَ القبور، وقَضَائِها وَسْطَ السُّوقِ بِحَضْرَةِ الناس.

ثانياً ـ عَدَمُ الغُلُوِّ في شَأنِ القُبُورِ، أو الْمُبَالَغَةِ في احترَامِهَا المُوصِلِ إلى الشِّرك، بِفِعلِ أيِّ من مظاهِرِ العِبَادَةِ، والتَّقديسِ عِندَهَا، أو إلَيْهَا.

فقد نهى النبي، صلى الله عليه وسلم، عن الصلاة إلَى القبور، كما حَذَّرَ من اتِّخاذها مساجِدَ، وهو في آخر لَحَظات حياته؛ احترازاً من الغُلُوِّ، وتَحذيراً من فِعلِ المُغالِين، وصيانةً لِصَفَاءِ عقيدة التوحيد من التدنيس؛ فعن أبي مَرْثَدٍ الْغَنَوِي، رضي الله عنه، أنَّ النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (لاَ تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلاَ تُصَلُّوا إِلَيْهَا)[2]، وعن عائشةَ وابنِ عبَّاسٍ، رضي الله عنهم، قَالا: (لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ، صلى الله عليه وسلم ـ أي الْمَوْتُ ـ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ ـ أي جَعَلَ يُغَطِّي وَجهَهُ بِكِسَاءٍ ـ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا، كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ،

1. سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور والجلوس عليها، وصححه الألباني.
2. صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه.

فَقَالَ، وَهُوَ كَذَلِكَ: (لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)، يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا)[1]، واتِّخاذُ القبور مساجد يَرجِعُ عند أهل العلم إلى ثلاثة معانٍ:

الأول: الصلاة إلى القبور، بمعنى السجود عليها، أو إليها؛ بجَعلِها في قِبلَةِ الْمُصَلِّي بين يَدَيْهِ.

والثاني: التَّوجُّهُ إليها، واستقبالُها عند الدعاءِ، وطلَبِ الْمَغفِرَةِ، أو قَصْدُ أصحابِها المَقبورين بالتَّوَسُّلِ، والاستغاثةِ، وطَلَبِ المَدَدِ والعَونِ منهم؛ كَمَنْ يقولُ: (مَدَد يا حُسَين، أو يا بَدَوي).

والثالث: بناءُ المساجد، أو القِبَابِ عليها، أو وَضْعُها في المساجد، وقَصْدُ الصلاةِ في تلك المساجد.

وفي هذا كُلِّهِ إشارةٌ إلى أن المَسجدَ والقبْرَ لا يَجوز أن يَجتَمِعَا في دين الإسلام في مكانٍ واحدٍ.

ثالثاً ـ مَا يُقَالُ عند دُخولِ المَقبرة، وزِيَارَةِ القُبُور:

وَرَدَ فيما يُقالُ عند دخول المَقبرة، وزيارة القبور أكثرُ من حديثٍ صحيحٍ، أصطَفِي هُنَا ثلاثةً منها:

1 ـ عن بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ النبيُّ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: (السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أهلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسلمينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ للاَحِقونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ).[2]

2 ـ عَنْ عَائِشَةَ، رضي الله عنها، قَالَتْ: (قُلْتُ: كيف أقول يا رسول الله؟ - أي عند زيارة القبور، فقال: (قُولِي: السَّلاَمُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، ويَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلاَحِقُونَ).[3]

3 ـ عن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ النبيَّ، صلى الله عليه وسلم، أتى الْمَقْبَرَةَ، فَقَالَ: (السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ).[4]

---

1. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها.
2. صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.
3. التخريج نفسه.
4. صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء.

رابعاً ـ تَعميقُ القَبْرِ وَتوسِيعُهُ:

وفيه ثلاثة بنود:

أ ـ لا يَخفى أنَّ دفنَ الأمواتِ فَرضُ كِفايَةٍ، وقد أمَرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، بِتَعميقِ القبر؛ لأنَّ تَعميقَهُ آكَدُ لِسَتْرِ الْمَيِّتِ، وأنفَى لِظُهُورِ الرَّائِحَةِ التي يَستَضِرُّ بها الأحياءُ، وأبْعَدُ لِقُدرَةِ الوَحشِ على نَبْشِهِ، ودليلُ ذلك ما رَوى هِشَامُ بنُ عَامِرٍ، رضي الله عنه، قَالَ: (شَكَوْنَا إِلَى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يَوْمَ أُحُدٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ الْحَفْرُ عَلَيْنَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ شَدِيدٌ ـ وقد نافَ عَدَدُ الشهداء يومها على السبعين ـ فَقَالَ رسول الله، صلى الله عليه وسلم: احْفِرُوا، وَأَعْمِقُوا، وَأَوْسِعُوا، وَادْفِنُوا الاثْنَيْنِ وَالثَّلاثَةَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ)(*)، فلم يَعذُرْهُمُ النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، في ترك تعميق القبور، مع ما هُمْ فيه مِنَ الشِّدَّةِ والحَرَجِ، وإنَّما رَخَّصَ لَهُم في دفنِ أكثر من واحدٍ في قبْرٍ وَاحِدٍ، مع وضع حاجز من تراب بين المَيِّتِ وأخيه؛ لِيَصِيرَ كُلُّ واحِدٍ كأنَّهُ في قبرٍ مُنفردٍ.

ب ـ وقد اختلف الفقهاء في تَحديد عُمق القبر، وأكثرُهم على أن يكون عُمْقُهُ إلى صَدرِ الرَّجُلِ القائم؛ أي ما يُقارِبُ 150 سنتمتراً، وهذا العُمق يناسِبُه أن نزيد في تعميق قبور مَوْتانا، فنجعلُ غطاءها نازلاً عن وجه الأرض بِمقدار حَجَرَين أو ثلاثة؛ أي ما يُقارِبُ 50 سنتمتراً، وألا يكون غِطَاؤها قريباً من وَجه الأرض، أو ظاهراً للعيان.

وعليه؛ فـإنَّ الدَّفنَ في قبور قريبة من وجه الأرض مُخالفٌ لِمَا ورد في السُّنَّة المُطَهَّرَةِ؛ من الأمر بتعميق القبور، وهو يَجعَلُها أقرَبَ إلى الأضرحة منها إلى القبور، وعلى الناس أنْ يَنْتَبِهُوا لذلك جيداً عند دفن موتاهم.

ج ـ كما أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، بتوسيع القبر؛ فعَنْ كُلَيْبٍ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَنَا غُلامٌ مَعَ

* سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب ما يستحب من إعماق القبر، وصححه الألباني.

أَبِي، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، عَلَى حُفَيْرَةِ الْقَبْرِ، فَجَعَلَ يُوصِي الْحَافِرَ، وَيَقُولُ: أَوْسِعْ مِنْ قِبَلِ الرَّأْسِ، وَأَوْسِعْ مِنْ قِبَلِ الرِّجْلَيْنِ، ...).[1]

خامساً ـ رَفْعُ القَبْرِ عَنْ وَجْهِ الأرض، وتسنيمُه:

وفيه بَنْدَان:

(أ) يُسَنُّ أن يُرفعَ القبْرُ عن وجه الأرض؛ لِيُعرَفَ أنه قبرٌ، فَيُتَوَقَّى، ويُتَرَحَّمُ على صاحبه، ويُكرَهُ رَفعُهُ أكثرَ من شِبرٍ؛ فقد روى جابرٌ (أَنَّ النبي رُفِعَ قَبْرُهُ عَنِ الأَرْضِ شِبْراً)[2]

(ب) ويُستحب جَعْلُ التراب فوق القبر مُسَنَّماً ـ أي مُرتفِعاً عليه كَسَنَامِ الْجَمَلِ ـ ؛ لِما أخرج البخاري عَنْ سُفْيَانَ التَّمَّارِ (أَنَّهُ رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ مُسَنَّمًا).[3]

سادساً ـ البِنَاءُ عَلَى القَبْرِ، وتَجْصِيصُه:

وفيه بَنْدان:

أ ـ نهى النبي، صلى الله عليه وسلم، عن البناء على القبور، ورفعها؛ فعن أبي الهَيَّاجِ، رضي الله عنه، قال: قال لي عَلِيُّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: (أَلاَ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، أي عندما بَعَثَهُ النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، إلى مكة قبل حَجَّةِ الوَدَاعِ؛ لإزالة معالم الشِّركِ والوَثنِيَّةِ ـ؟؛ أن لاَ تَدَعَ تمثالاً إلاَّ طَمَسْتَهَ ـ أي محوته ـ، وَلاَ قَبْراً مُشْرفاً إلاَّ سَوَّيْتَهُ)[4] والقبر الْمُشرِفُ: هو المُرتفِعُ بالبِنَاءِ عليه؛ كالأضْرِحَةِ، والقِبَابِ، ونحوها، وقد أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، عليًّا، صلى الله عليه وسلم، بِهَدمِهَا، وتسوِيَتِها بالأرض، وهذا يَدُلُّ على حُرمَةِ البِنَاءِ على القبور، ورفعِها به.

ب ـ كما نَهَى النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، عن تَجصِيصِ القبور؛ فعن جابرٍ، رضي الله عنه،

1. مسند أحمد، تتمة مسند الأنصار، حَدِيثُ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.
2. تحفة الأحوذي، 4 /133.
3. الفتح الرباني، 21 /259.
4. صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر.

قال: (نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، أَنْ يُجَصَّصَ القَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ).[1]

وتَجصيصُ القبور: هو بِناؤها بالجِصِّ الأبيض، المَعروف عندنا بالْجِبْس، ويَدخُلُ في معناهُ وَضْعُ البلاطِ، والرُّخَام، والجرانيت عليها؛ بل هو أشَدُّ حُرمَةً من وَضعِ الجِصِّ؛ لِما فيه مِنَ التزيين، والمُباهاةِ، وإضاعةِ المالِ في أمرٍ منهيٍّ عنه.

سابعاً ـ الكتابةُ على القبر، وتعليمُه:

وفيه بَنْدان كذلك:

(أ) تَحرُمُ الكتابة على القبر؛ لِلنهي الوارد عنها في حديث جَابِرٍ السابق، وفيه: (...، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ)، وتشتَدُّ الْحُرمَةُ إذا كان فيها شيءٌ من القرآن، أو اسمُ الله، أو رسولِه؛ لِمَا في ذلك من الامتهان.

(ب) يَجوز تعليم القبر بوضع حَجرٍ، أو خشبةٍ، عند رأس المَيِّتِ؛ لِيُعرَفَ، فَيُزارَ صاحِبُهُ، ويُتَرَحَّمَ عليه؛ لِمَا أخرج الترمذي عن الْمُطَّلِبِ أنَّه لَمَّا دُفِنَ عثمانُ بنُ مظعونٍ ـ أخو النبي، صلى الله عليه وسلم، مِنَ الرَّضَاعَة ـ وَضَعَ النبيُّ عندَ رَأسِهِ حَجَرًا، وقال: (أَتَعَلَّمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي، وَأَدْفِنُ إِلَيْهِ ـ أي إلى جِوَارِهِ ـ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي).[2]

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

1. صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه.
2. سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب في جمع الموتى في قبر والقبر يعلم، وحسنه الألباني.

مسائل فقهية

من أخطاء المصلين المتعلقة بالمساجد والصلاة

الشيخ أحمد شوباش/ مفتي محافظة نابلس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

فالصلاة عمود الدين، وركن الإسلام بعد الشهادتين، والعلامة الفارقة بين الإيمان والكفر، أمر الله في كتابه بالمحافظة عليها، وإحسان أدائها بأركانها وآدابها، وهيئاتها، وبذلك أمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

والملاحظ أن بعض المصلين يقع في بعض الأخطاء، ومخالفة الشرع القويم، سواء فيما يتعلق بمواضع الصلاة من المساجد، أم في أفعال الصلاة وأقوالها، وفي هذه الصفحات أبين جانباً من تلك الأخطاء، والصواب الذي ينبغي الحرص عليه وممارسته.

أولاً - الأخطاء المتعلقة بالمساجد:

1. ترك النظافة:

يُقصِّر بعض المصلين في الحرص على نظافة أبدانهم، وثيابهم، وعموم ملابسهم، خاصة الجوارب، مما يلحق الأذى بالمصلين، ويضر بنظافة المسجد.

فالإسلام دين النظافة، وأولى الأماكن بالنظافة بيوت الله، وكان الصحابة الكرام يحافظون على نظافة المسجد ويطيبونه (فَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللهِ يُجَمِّرُ الْمَسْجِدَ إِذَا قَعَدَ عُمَرُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

عَلَى الْمِنْبَرِ)[1]، وفي صحيح مسلم: (إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلاَ الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ).[2]

كما ينبغي الحفاظ على نظافة المتوضأ ودورة المياه، وكل مسلم مطلوب منه ذلك، بتعاهد المساجد، والحفاظ عليها، كما يحافظ على بيته، بل المسجد أولى بذلك.

ولا يجوز للمصلي إيذاء إخوانه برائحة البصل والثوم والدخان، فعَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَال: (مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ؛ الثُّوم، وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ، فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا؛ فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ).[3]

ومن قلة الأدب، أن يأتي المصلي إلى المسجد بثياب متسخة، فلا ينظفها قبل دخوله المسجد، ويزاحم المصلين، مما يتعارض مع الخلق الحسن، والذوق السليم.

2. رفع الأصوات في المساجد:

من الأخطاء الشنيعة التي تقع من بعض المصلين رفع الأصوات في المساجد والتشويش على المصلين.

فالمسلم في صلاته يناجي ربه، ولا يجوز له رفع صوته، لا في قراءة القرآن، ولا الذكر ولا الدعاء، ولا يرفع صوته بالنية؛ لأن النية من عمل القلب، وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، يفتتح صلاته بالتكبير، فقول المصلي: نويت أن أصلي لله تعالى فرض كذا مستقبلاً القبلة... مخالف للشرع الحكيم، ومن التشويش رفع بعض المصلين الصوت بالقراءة في أثناء الصلاة والتشويش على جيرانهم، والسنة أن يحرك المسلم لسانه وشفتيه بالقراءة، أو يسمع نفسه

1.. تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، 3 /168.
2. صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد.
3. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها.

فقط دون رفع الصوت، فإن كان بإسماع نفسه يشوش على المصلين اكتفى بتحريك اللسان والشفتين.

وكل ما فيه رفع الصوت في المساجد مخالف للشرع، خاصة إذا كان من كلام الدنيا من الرجال والنساء على السواء، فقد روى البخاري، عَنْ السَّائِبِ بنِ يَزِيدَ، قَالَ: (كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ، فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ: مَنْ أَنْتُمَا؟ أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ، لأوجَعْتُكُمَا؛ تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).(*)

ومن التشويش ما يحصل من كلام الناس والخطيب على المنبر، فإن ذلك لا يجوز شرعاً، كما أنه يبطل أجر المصلي.

3. الأطفال والنساء:

أمر الشرع بتعليم الأطفال الصلاة في السابعة، والمسجد هو المدرسة لتعليم الصلاة، وقد اعتنى النبي، صلى الله عليه وسلم، بالأطفال، ورعى شؤونهم، وتلطف بهم، لكن ينبغي عدم إحضار الأطفال قبل سن السابعة إلى المساجد، لما يحدثونه من إزعاج للمصلين، وتشويش عليهم، إلا من ظهرت نباهته، والتزامه بأداء الصلاة دون إزعاج المصلين.

وخروج النساء للمساجد مشروع، لكن ينبغي أن تخرج من غير زينة، وبحجاب كامل، وألا يسببن فتنة.

4. الإسراف في مرافق المساجد:

من أخطاء المصلين إسراف بعضهم في الماء والكهرباء والإنارة، وفي ذلك اعتداء على مال

* صحيح البخاري، كتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، باب رفع الصوت في المساجد.

الوقف، وإتلاف له، وهذا أمر محرم، فالمسلم مأمور بالاقتصاد، والتوسط في سائر شؤون حياته، خاصة في مال المسجد.

5. ممارسات خاطئة:

يجب تنزيه المسجد عن معاملات البيع والشراء، وإنشاد الضالة -أي البحث عن المفقودات- ومنع التسول على أبواب المساجد، فإن المساجد ما بنيت لأجل ذلك، إنما بنيت لأجل ذكر الله، والصلاة، والعبادة.

ثانياً ـ من أخطاء المصلين في الصلاة:

1. ترك صلاة الجماعة:

صلاة الجماعة مطلوبة من المسلم، ومن العلماء من قال: هي سنة مؤكدة، ومنهم من قال: هي فرض؛ لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، لم يسمح لرجل أعمى أن يدعها، ولم يرخص له في تركها، فكيف بالمبصرين، كما أن للصلاة في المسجد أجراً عظيماً كمغفرة الذنوب، ورفع الدرجات، ومضاعفة الحسنات، ولا تترك إلا لعذر، كالخوف، والمرض.

ويلحق بذلك قدوم المصلي إلى المسجد متأخراً، حتى تفوت المصلي بعض الركعات، أو تكبيرة الإحرام، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صَلَّى لِلهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ، يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى، كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ؛ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ).(*)

كما أن كثيرين يأتون إلى المسجد يوم الجمعة متأخرين بعد صعود الإمام المنبر، فيحرمون أنفسهم أجر التبكير إلى المسجد، واستماع الوعظ والنصح.

* سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل التكبيرة الأولى، وحسنه الألباني.

وصلاة النوافل في البيت أفضل من المسجد، لما ورد عن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا).[1]

فمن الخطأ ترك صلاة النوافل في البيت مطلقاً، وهجر البيوت، فإن الصلاة في البيت أقرب إلى الإخلاص، وفيه تعويد لأهل البيت على الصلاة.

2. عدم متابعة الإمام:

من واجبات صلاة الجماعة متابعة الإمام، والإتيان بالأركان بعده مباشرة، ومسابقته حرام، وإن أتى بالركن قبل الإمام بطلت صلاته، والمأموم مأمور بمتابعة الإمام، وليس له أن يوافقه في أفعال الصلاة، أو يسابقه، أو يتخلف عنه.

3. الإسراع في الصلاة:

مما ابتلي به بعض الأئمة والمصلين الإسراع في أفعال الصلاة والقراءة، إلى درجة تخل بالأحكام، وتفقد المصلي ركناً مهماً من أركان الصلاة، وهو الطمأنينة، وتصبح الصلاة بلا خشوع، ويطلق على هذا الفعل السرقة في الصلاة، وفي الحديث الصحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً، الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلاتِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلاتِهِ؟ قَالَ: لا يُتِمُّ رُكُوعَهَا، وَلا سُجُودَهَا، أَوْ قَالَ: لا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ).[2]

وقد أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، المسيء في صلاته، المسرع فيها، بإعادتها ثلاث مرات،

1. صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد.
2. مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث أبي قتادة الأنصاري، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

ثم علمه الصلاة، وعن أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ، قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تُجْزِئُ صَلاةُ الرَّجُل، حَتَّى يُقِيمَ ظَهْرَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ).(*)

3. ترك قراءة الفاتحة والقراءة عموماً:

من أخطاء المصلين قراءة الفاتحة في الصلاة بالقلب، والقراءة تعني تحريك اللسان والشفتين بالحروف، حتى يسمع القارئ نفسه، أو من غير إسماع، والمطلوب شرعاً تحريك اللسان، فمن لم يحرك لسانه وشفتيه بقراءة الفاتحة في الصلاة المنفردة والسرية، فصلاته باطلة، أما الصلاة الجهرية، فتكفي قراءة الإمام لمن استمع إليها.

5. أخطاء في حركات الصلاة:

* فبعضهم يرفع يديه في الصلاة عند تكبيرة الإحرام جوار بطنه، أو يجعل يديه كرقم(11) متقابلتين، أو يمسك أذنيه، ويقبض عليهما بيديه.

والصحيح أن يرفع يديه حذو منكبيه، بحيث تحاذي أطراف أصابعه فروع أذنيه- أي أعلى أذنيه- وإبهاماه شحمتي أذنيه، وراحتاه منكبيه، وتكون راحة اليد باتجاه القبلة، ويسن رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام، وإذا كبر للركوع، وإذا رفع رأسه من الركوع، وإذا قام من التشهد الأول إلى الركعة الثالثة.

* وبعضهم يرفع رجليه عند السجود، والواجب السجود على القدمين والركبتين واليدين مع عظمة الأنف والجبين، وتكون القدمان منصوبتين متلاصقتين والأصابع نحو القبلة.

6. تخطي الرقاب والإيطان:

لا يجوز للمصلي أن يتخطى رقاب المصلين، ويفرق بين الجالسين، أو يقيم أحداً من مكانه،

* سنن أبي داود، كتاب الصلاة، أَبْوَابُ تَفْرِيعِ اسْتِفْتَاحِ الصَّلاةِ - باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، وصححه الألباني.

كما يكره المداومة على مكان في المسجد لا يصلي في غيره، وقد (نَهَى رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ نَقْرَةِ الْغُرَابِ، وَافْتِرَاشِ السَّبُعِ، وَأَنْ يُوَطِّنَ الرَّجُلُ الْمَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ، كَمَا يُوَطِّنُ الْبَعِيرُ).[1]

7. المرور بين أيادي المصلين:

إن من المشاهد في المساجد مرور بعض المصلين من بين إيادي إخوانهم، وقطع الصلاة عليهم، وقد قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيْ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ، خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ).[2]

ويشرع للمسلم أن يتخذ سترة للصلاة سواء الجدار أو السارية (العمود) أو ظهر أحد المصلين، وهذه السترة سنة عند أكثر العلماء، وقال بعضهم بوجوبها، ولا يسمح لأحد بالمرور بين يديه. وهو يشمل صلاة السنة والفريضة، أما صلاة الجماعة، فسترة الإمام سترة للمأمومين.

8. الاصطفاف في الصف أثناء صلاة الجماعة:

يلاحظ في اصطفاف المصلين في صفوف الصلاة بعض الأخطاء منها:

عدم تسوية الصفوف، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ تَمَامِ الصَّلاةِ).[3]

وينبغي أن يسوى الصف، بحيث تستقيم أبدان المصلين، وذلك بأن يكون كتف كل مصلٍ إلى جوار كتف أخيه ملتصقاً به، وقدمه إلى قدمه متساوية من الخلف عند العقب، وليس عند

1. سنن أبي داود، كِتَاب الصَّلاةِ، أبواب تفريع استفتاح الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، وحسنه الألباني.
2. صحيح البخاري، كتاب الصلاة، أبواب سترة المصلي، باب إثم المار بين يدي المصلي.
3. سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب إقامة الصفوف، وصححه الألباني.

الأصابع، كما يفعل المصلون، حتى تكون الصفوف مستوية.

* وبعضهم يترك عامداً فراغاً في الصف حتى تصبح فرجة يدخل منها الشيطان، وهذا أمر لا يجوز، فمن وصل صفاً وصله الله، ومن قطع صفاً قطعه الله.

* ومن الأخطاء وضع الكرسي من المصلين، فبعضهم يقدم الكرسي، وآخرون يؤخرونه، والأفضل الصلاة من غير كرسي، ومن كان عاجزاً، أتم صلاته قاعداً متربعاً، أو على هيئة الصلاة عند التشهد، ومن صلى على كرسي، فإن كان يجلس طوال الصلاة؛ لعدم القدرة على القيام، جعل كتفه إلى جوار أكتاف المصلين عند بداية الصلاة، ومن كان يستطيع القيام صلى في الصف مستوياً معه عند القيام، ولا يضره التأخر عن الصف عند الجلوس، وعلى المصلين على الكراسي أن يصلوا على أطراف الصفوف، وليس في أوساطها؛ حتى لا يؤذوا من خلفهم.

9. أخطاء متعلقة بالملابس:

* من الخطأ الصلاة بثوب لا يستر الكتفين؛ لما في ذلك من عدم الأدب مع الله، ومن الخطأ الذي يبطل الصلاة الملابس الضيقة والقصيرة، التي تظهر منها العورة عند الركوع والسجود؛ فإن ذلك لا يصح بحال.

* ومن الأخطاء كف الثوب، وقلب أكمام القمصان والبناطيل عند الصلاة؛ لورود النهي عنه، كما كره بعض العلماء الصلاة في الثوب الطويل الذي يكون أسفل الكعبين.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. حكم حج المعوق عقلياً

السؤال: امرأة في الخمسينيات تعاني من إعاقة عقلية بسيطة، تطالب ذويها بالسماح لها بأداء الحج، فما حكم ذلك؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإن العقل من شروط التكليف بالعبادات، قال النبي، صلى الله عليه وسلم: (رُفِعَ القلمُ عَن ثَلاثة؛ عَن النائمَ حتّى يستيقظ، وَعن الصبي حَتّى يَحْتَلم، وَعن المجنونِ حَتّى يَعقل)[1]، والإعاقة العقلية؛ تسلب التكليف عند جمهور الفقهاء[2]، فيسقط الحج عن المعوق عقليًا، قال ابن القطان الفاسي: (أجمعوا على سقوط الحج عن الصبي حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن المعتوه)[3]، ولو أدى المعوق عقليًا الحجَ؛ صَحَّ منه، ووقع نفلًا، وإن شفي من إعاقته وصار مكلفًا؛ فإن الحج الذي أداه حال إعاقته لا يغنيه عن أداء فريضة الحج، وفي حال أدى الحج وهو معوق عقليًا، فإن وليه يحرم عنه، عند الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية، وذلك قياسًا

1. سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًا، وصححه الألباني.
2. الموسوعة الفقهية الكويتية، 29/ 276.
3. الإقناع في مسائل الإجماع، 1/ 247.

على الصبي[1]؛ فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: رفعت امرأة صبياً لها، فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: (نعم، ولكِ أجر)[2]، ولا يصح الحج منه عند الحنابلة؛ لأنه غير مكلف شرعًا، ولا قصد له، وقصد الفعل شرط في صحة الحج.[3]

وبالنسبة إلى الإعاقة البسيطة؛ فمستواها غير واضح في السؤال، وبالتالي يصعب تقدير مدى تأثيرها على شروط وجوب الحج، أما إن سمح أهل هذه المرأة لها بأداء الحج، مع وجود محرم يرافقها، ويعتني بها، فذلك خير، ولهم الأجر والثواب إن شاء الله تعالى، ويكون بالنسبة إليها نافلة.

2. حكم حج المرأة مع عصبة من النساء

السؤال: ما حكم حج المرأة مع عصبة من النساء؟

الجواب: إن سفر المرأة لتأدية فريضة الحج مع الصحبة الموثوقة من النساء جائز شرعاً عند بعض الفقهاء، كالإمام الشافعي، والإمام أحمد في إحدى رواياته، وكذلك الإمام مالك بشرط أمن الفتنة، ووجود الرفقة الصالحة من النساء المأمونات، وهذا ما ذهب إليه وأقره مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين في قراره رقم (2/ 68).

3. حكم الامتناع عن أداء فريضة الحج

السؤال: رجل كبير في السن لا يريد تأدية فريضة الحج، فهل يلحق بأبنائه إثم على ذلك، وهل يجوز لهم أداء فريضة الحج عنه؟

الجواب: إن الله فرض على المسلم المستطيع أداء فريضة الحج في العمر مرة واحدة، وللأسف أن بعض الناس يتقاعسون عن أدائها حال الاستطاعة، مما يلحق بهم الإثم، ومعلوم أن الإثم

---

1. البحر الرائق، 2/ 340، شرح مختصر خليل للخرشي، 7/ 203، المجموع 7/ 20.
2. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب صحة حج الصبي وأجر من حج به.
3. حاشية الروض المربع، 5/ 465.

يقتصر على صاحبه، فلا تزر وازرة وزر أخرى، فلا إثم على الأبناء بسبب تقصير والدهم عن أداء ما أوجب الله عليه، إلا إذا كان لهم دور في وقوع ذلك التقصير منه.

والإسلام فسح المجال لأداء فريضة الحج عن الآخرين إذا ماتوا دون أن يؤدوا الفريضة، أو كانوا في حالة صحية يعجزون عجزاً دائماً بسببها عن أداء الفريضة.

4. حكم استخدام الصابون غير المعطر في الحج

السؤال: ما حكم استخدام الصابون غير المعطر في الحج؟

الجواب: يجوز استعمال الصابون المعطر وغيره قبل الإحرام للرجل أو المرأة، أما بعده فقد اتفق الفقهاء المعاصرون على جواز استخدام الصابون غير المعطر مثل الصابون النابلسي، واختلفوا في المعطر منه، فذهب بعض العلماء إلى جواز استخدامه، فيما ذهب غيرهم من اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية، ومن وافقهم إلى حرمة استخدامه، وأوجبوا على من يستخدمه وهو محرم الفدية؛ لأنه يُعد مس طيباً، قال الشيخ البراك: من المعلوم أن المحرم منهي عن التطيب، فلا يجوز أن يتطيب في بدنه ولا في ثوبه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (وَلا تَلْبسُوا شَيْئاً مِن الثيابِ مَسّهُ زعفران وَلا ورَس)[1]، قال العلماء: لأن الزعفران والورس نوعان من الطيب، وأما استدامة الطيب على البدن، وهو إبقاء الطيب الذي تطيب به قبل الإحرام، فلا بأس به، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يتطيب قبل أن يحرم، ثم لا يزيله بعد الإحرام، فعن عائشة، أم المؤمنين، رضي الله عنها، قالت: (كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذا أراد أن يحرم يتطيب بأطيب ما يجد، ثم أرى وبيص الدهن في رأسه ولحيته بعد ذلك).[2]

وعلى هذا؛ فالصابون المعطر يجب على المحرم اجتنابه؛ لأن استعماله يترك أثر الطيب

1. صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب السراويل.
2. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الطيب للمحرم عند الإحرام.

على الموضع الذي استعمل فيه من البدن، لكن من الصابون ما لا يترك أثراً على البدن، مثل الصابون النابلسي غير المعطر، فاستعمال مثل هذا للمحرم لا بأس به، واجتنابه أولى وأحوط.

5. حكم الحج المميز

السؤال: ما حكم الحج المميز، وحج أل VIP؟ ومن أوجده؟ وما حكم الحج بالواسطة؟ وما حكم المسؤولين الذين يضيفون أسماء خارج الكوتا إلى قائمة الحج؟

الجواب: الأصل أن الحج فرض على المستطيع، لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} (آل عمران: 97)، وتكلفة أداء الحج تختلف من شخص إلى آخر، ومن زمن إلى آخر، والحج المميز أو المسمّى بـ VIP هو الحج الذي يتميز في تقديم الخدمات، ونوع المركبات، ونوع الأكل، ونوع السكن، وقربه من الحرمين أو بعده، وغير ذلك من أنواع الرعاية والخدمات المميزة، لذلك يكون هذا النوع من الحج عادة أكثر كلفة مالية عن غيره، ولا حرج شرعاً منه، مع التحذير من الانخداع ببعض المغريات التي تغوي من ينوي الحج من قبل بعض المستغلين، أما بالنسبة إلى الحج بالواسطة، فإن استعان بعض المتقدمين للحج ببعض الناس، لتسهيل سفره لأداء الحج مع مراعاة حق الآخرين، دون ظلم أحد منهم، بحيث لا يأخذ مكان غيره، ودون أن تكون الاستعانة مقابل رشوة، فلا حرج في ذلك، وإلا فلا تجوز. وبخصوص إضافة أسماء حجاج من خارج القائمة إليها، فإن كان ذلك ضمن القانون مع مراعاة العدالة والنزاهة، وفيه مصلحة عامة للناس، فيجوز ذلك، أما إن كانت الإضافة على حساب أصحاب الحقوق، فهنا يقع الخلل، ويكون الظلم.

6. حكم الحج عن طريق ربح الحساب الجاري من البنك الإسلامي

السؤال: لدي نية أن أحج، وأموال الحج وضعتها في البنك الإسلامي حساباً جارياً، وتمت إضافة ربح عليها من البنك، فما حكم الشرع في ذلك؟

الجواب: إن التعامل مع بنك يطبق تعاليم الشريعة الإسلامية وأحكامها في معاملاته جميعها جائز شرعاً.

أما بالنسبة إلى الحسابات البنكية المشروعة فمن أنواعها، نوعان؛ الأول: الحسابات الاستثمارية، وهي ودائع يقبلها البنك الإسلامي من المودعين على أساس أنها مضاربة، تخضع للربح والخسارة، فالمصرف يعدُّ فيها مضارباً، والمودع رب المال.

والثاني: الحسابات الجارية وهي قروض مضمونة يحق للبنك التصرف فيها، ويقوم بردها عند الطلب، وتندرج تحت باب القرض الحسن من غير زيادة ربوية، ولكن في حال ترتب على هذا النوع من الحساب أي ربح، فيحرم شرعاً أخذه؛ لأنه زيادة على مبلغ القرض الحسن، والقاعدة الفقهية تقول: (كل قرض جر نفعاً فهو رباً)[1]، وابن قدامة، رحمه الله، يقول: (وكل قرض شرط فيه أن يزيده فهو حرام بغير خلاف، قال ابن المنذر: أجمعوا على أن المسلف إذا شرط على المستسلف زيادة، أو هدية، فأسلف على ذلك فأخذ الزيادة، أو الهدية بناءً على ذلك ربا، وقد روي عن أبي بن كعب، وابن عباس، وابن مسعود، أنهم نهوا عن قرض جرَّ منفعة).[2]

وعليه؛ فلا يجوز لك الحج من هذه الأموال.

7. حكم الحج من مال القرض لموظف يعمل في بنك

السؤال: أنا موظف في بنك، وأخذت منه قرضاً لأغراض البناء والسكن، وأريد أن أحج بجزء منه مع والدتي وزوجتي، فهل يجوز لي ذلك؟

الجواب: لا يجوز التعامل بالربا قرضاً أو إقراضاً، وكذلك لا يجوز العمل في خدمة الإقراض الربوي، وعلى من ابتلي بذلك أن يتوب إلى الله تعالى؛ بالإقلاع عن الذنب، والندم عليه،

1. قواعد الفقه، 1 /100.
2. المغني، 4 /390، بتصرف.

والعزم على عدم العودة إليه، والبحث عن عمل آخر.

ومن شروط وجوب الحج الاستطاعة المالية، ومن ذلك توافر مال فاضل عن الديون، يكفي لنفقة الطريق والراحلة، قال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} (آل عمران: 97)، ولا يجب على المرء أن يقترض لأداء الحج، وقد سئل ابن أبي أوفى، رضي الله عنه، عن الرجل يستقرض ويحج، فقال: (يَسْتَرْزِقُ اللهَ، وَلاَ يَحُجُّ)[1]، وإذا اقترض وحجَّ، فحجه صحيح إن شاء الله.

ونفقة المَحْرَم الذي يرافق المرأة في حجها، تكون عليها، حسب ما ذهب إليه الحنفية والشافعية والحنابلة؛ لأنها تعجز عن أداء الحج إلا به، فكان عليها نفقته، كالراحلة، ويؤجر إن تكفل هو بالنفقات عن نفسه أو غيره، خاصة إن كان الحاج والده أو والدته، فيعدّ ذلك براً بهما.[2]

والحج من العبادات التي تلزمها نفقة مالية، يشترط فيها أن تكون طيبة نقية من الحرام، حتى يكون حجاً مبروراً، لما جاء في الحديث الشريف أن النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سُئِلَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ)[3]، والحج المبرور هو الحج المقبول الذي لا يخالطه معصية، بأن يأتي الحاج فيه بالواجبات والمستحبات، ويترك المحرمات والمكروهات، ويحج كما شرع الله، وكما حج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأن يكون ماله من الحلال الخالص الذي لا شبهة فيه.

والله تعالى أعلم

1. مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الحج، باب في الرجل يستقرض ويحج، 3 /449.
2. الاختيار لتعليل المختار، 1/ 151، مغني المحتاج، 1/ 468، المغني، 3/ 192.
3. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.

أخلاق وقيم

مفهوم العفة في الإسلام

د. حسن مسعود / محاضر غير متفرغ في جامعة القدس المفتوحة - قلقيلية

دائرة الأخلاق في الإسلام واسعة، تشمل الفرد والأسرة والمجتمع، ومظاهر الأخلاق كثيرة، منها: خلق الصدق، والأمانة، والإخلاص، والتعاون، والإيثار، والصبر، والحلم، والعفو، وكظم الغيظ، ومن الأخلاق التي حثَّ الإسلام عليها خلق العفة، هذا ما سنتناوله في الصفحات القليلة الآتية، بادئين بتعريف العفة لغة واصطلاحاً، ودليل هذا الخلق العظيم من القرآن والسنة، وأنواع العفة، ومظاهرها وآثارها، وكيفية تحصيلها والمحافظة عليها.

فالعفة صفة خلقية إيمانية رفيعة مدح القرآن الكريم أصحابها، ودعا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المسلمين إلى تحقيقها في حياتهم، وهي ثمرة من ثمار الإيمان بالله تعالى.

العفة لغة: من عفَّ يعفُّ. والعفة: الكفُّ عما لا يحل ولا يجْمل. والاستعفاف طلب العفاف، وهو الكف عن الحرام، وسؤال الناس، ورجل عف وعفيف. والعفة: الابتعاد عن الشيء، والكف عنه.[1]

العفة اصطلاحاً:

العفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، والمتعفف المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر.[2]

1. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط3، دار صادر: بيروت، 4 141هـ فصل العين، 9/ 369
2. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، ط1، دار القلم : بيروت، 1412هـ.

والعفة: هيئة للقوة الشهوية، متوسطة بين الفجور، الذي هو إفراط هذه القوة، والخمود الذي هو تفريطها، فالعفيف من يباشر الأمور وفق الشرع والمروءة.[1]

ومن معاني العفة الشرف، ويستعمل الشرف عرفاً بمعنى العفة.

عناية الإسلام بالعفة:

العفة صفة من صفات الحور العين التي أشار إليها قوله تعالى: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} (الرحمن: 72)، {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ} (الصافات: 48)، فقوله قاصرات الطرف أنهن عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن؛ أي قصرن أبصارهن على أزواجهن، لا يمددن طرفاً إلى غيرهم، كل ذلك حياء وعفة، ولشدة اقتناعهن، واكتفائهن بهم[2] فامتدحهن بالعفة مع الجمال. فأعظم ما تكون العفة إذا ما اقترنت بالجمال.

ومن اهتمام الإسلام بأمر العفة والعفاف، أن جعل الشرط في إباحة الزواج من الكتابيات كونهن محصنات؛ أي عفائف، فقال تعالى: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ}. (المائدة: 5)

والعفة في القرآن من خلق المؤمنات، وسجية المحجبات، فجاء الخطاب الرباني بقوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً}.(الأحزاب: 59)

ورغب الإسلام في العفة والتعفف، ودعا إلى أن تكون أمة الإسلام أمة العفة والطهارة، فكان الرسول، صلى الله عليه وسلم، يأمر بالعفة، ويحث عليها، ففي الحديث أن هرقل سأل أبا سفيان، فَقَالَ: (فَمَا يَأْمُرُكُمْ يَعْنِي النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ

1. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، باب العين، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت، 1/ 151.
2. النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط1: دار الكلم الطيب: بيروت، 1418هـ- 1998، 3/ 123.

وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ) [1]، وفي الدعاء: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى).[2]

من الألفاظ ذات الصلة بالعفة:

1. **الحصانة**: كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ} (النور: 23)؛ أي العفيفات.

2. **الزواج**: كما في قوله تعالى: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ}(النساء: 24)

3. **الحرية**: كما في قوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ } (النساء: 25)؛ أَي الْحَرَائِرَ.

4. **الإسلام**: كما في قوله تعالى: {فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ} (النساء: 25)؛ أي إذا أسلمن، أَي الْحَرَائِرَ.[3]

مشروعية العفة:

ثبتت مشروعية العفة في الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

الكتاب:

1. يقول تعالى: {لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً}.(البقرة: 273)

2. ويقول عز وجل: {وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ}(النساء: 6)

3. في قصة يوسف أبلغ دليل على فضيلة العفة، وحسن عاقبتها، ومن خلال القصة نجد أن يوسف، عليه السلام، لم يمتنع عن فعل الفاحشة؛ لأنه ليس له المقدرة على الجماع، لكن الذي منعه من ذلك العفة، فقال تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}. (يوسف: 23)

1. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج.
2. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.
3. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، ط2، دار السلاسل: الكويت، 30 /164.

4. وقد جعل الله التعفف عن الزنى، والتصوّن منه من صفات المؤمنين الفالحين، فقال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ }(المؤمنون: 1)، وذكر من صفاتهم: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ}(المؤمنون: 5)

5. وتظهر في سورة النور معالم العفة وموانع الفاحشة، التي ذكر فيها حرمة الزنى ومقدماته وعقوبته.[1] يقول تعالى: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللهُ مِن فَضْلِهِ} (النور: 33)

6. سورة القصص فيها من الآيات ما يدل على اهتمام القرآن بالعفة والشرف، ففي قصة موسى مع المرأتين، حيث سقى لهما الماء، وأخبرتا أباهما، فبعث الوالد إحدى ابنتيه تدعوه إليه [2]، حيث جاء في القرآن {فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} (القصص: 25)

7. قصة مريم، حيث ضرب الله مثلاً بمريم في العفة، حيث جاء في كتابه العزيز: {قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً}(مريم: 20)

السنة :

1. حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فعدَّ منهم رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله.[3]

2. حديث سهل بن سعد، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ).[4]

3. حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فلم يجدوا بداً من التوسل إلى الله إلا بصالح أعمالهم، واستشفع الثالث منهم بأنه كانت له ابنة عم يهواها، فما زال يراودها عن

1. حسن مسعود، القتل دفاعاً عن شرف العائلة وعقوبته في الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير، إشراف: د. جمال الكيلاني، 1422هـ- 2001، ص 46.
2. حسن مسعود، القتل دفاعاً عن شرف العائلة وعقوبته في الشريعة الإسلامية، ص 52.
3. انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش.
4. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان.

نفسها حتى ألمّ بها القحط، فراودها، ورضيت، فلما تمكّن منها، قالت له: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فإذا هو يرتعد من خشية الله .[1]

4. الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (بروا آباءكم، تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم)[2]

5. حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَا اللُّقْمَةُ وَلَا اللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ)[3]

6. الحديث الذي رواه أبو هريرة، رضي الله عنه، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ).[4]

7. حديث: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ).[5]

وجه الدلالة: المتأمل في كل حديث من الأحاديث الآنفة، يجد أنها تشير إلى اهتمام السنة بالعفة.

قال ابن حجر: (العالم إذا كان عالماً، ولم يكن عفيفاً، كان ضرره أشد من نفعه)[6]

ومن الجدير ذكره أن العرب في الجاهلية كانوا أصحاب عفة، ويفتخرون بهذا الخلق الرفيع، ومن العفة عدم إيذاء الجار، فهذا عنترة بن شداد يفتخر بعفته، ويقول:

---

1. صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي.
2. الطبراني، سليمان بن الأشعث، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين: القاهرة، 1 /299 رقم 1002، وقال المنذري في الترهيب والترغيب: إسناده حسن.
3. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (لا يسألون الناس إلحافاً) (البقرة: 273).
4. سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم، وحسنه الألباني.
5. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم.
6. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة: بيروت، 1379هـ 13 /149.

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها[1]

وهذا عروة بن الورد هو الآخر يفتخر بعفته، ويقول:

وإن جارتي ألوت رياح ببيتها تغافلت حتى يستر البيت جانبه[2]

والمرأة العربية هي الأخرى تعتز بعفتها وشرفها، فهذا النابغة الذبياني يصف إحدى النساء العفيفات بقوله:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد[3]

والمقصود بالنصيف هنا الخمار.

أنواع العفة:

للعفة أشكال وأنواع عدة منها:

1. **عفة النفس**، ونتحصل عليها عن طريق تزكيتها وتطهيرها من الرذائل، وقد مدح الله أصحاب هذه النفس بقوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} (الشمس: 9-10)

2. **عفة الجوارح**، ونتحصل عليها بتسخير هذه الجوارح فيما يرضي الله ووقايتها مما يبغضه. ويكون ذلك بأن يكف المسلم يده ورجله وعينه وأذنه وفرجه عن الحرام، فلا تغلبه شهواته، قال تعالى: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا} (النور: 33)، ويقول صلى الله عليه وسلم: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ)[4]

وعفة الجسد تكون بستره، وعدم إظهار عورته، ذكراً كان أم أنثى.

3. **عفة البطن**، أو عفة المأكل والمشرب، وتحصيل ذلك بحفظ البطن من الحرام. (استحيوا من الله حق الحياء).[5]

1. شلبي، عبد المنعم، شرح ديوان عنترة، المكتبة التجارية: القاهرة، 185.
2. ابن الورد، عروة، شرح ديوان عروة بن الورد، تحقيق: أسماء أبو بكر، ط1، دار الكتب: بيروت، 1992، 48.
3. البستاني، بطرس، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار الجيل : بيروت، 1979، 1/ 205.
4. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم.
5. سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب منه، وحسنه الألباني.

4. **عفة السمع**، فلا يسمع القول الحرام.

5. **العفة عن أموال الغير**، فلا يأخذ أموال الناس بغير حق، وأن يبتعد عن سؤال الناس. ولا يتسول، ولا يطلب المال دون عمل. وقد مدح الله أناساً من الفقراء لا يسألون الناس لكثرة عفتهم، فقال تعالى: {يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ}(البقرة: 273)

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَه).[1]

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ)[2]

وعن حكيم بن حزام، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ).[3]

6. **العفة الإلكترونية**: معلوم أن انتشار وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، قرّب البعيد، وسهل الصعب، وصارت العلاقة بين الرجل والمرأة أكثر قرباً، وأكثر سهولة، وأكثر خطراً. وهذه الوسائل كسرت حاجز الحياء والخجل بين الجنسين، وجعلت العلاقة مفتوحة، والأسرار مكشوفة، فلا بد من ضبط ذلك، ولا يكون ذلك إلا بالعفة.

آثار العفة وثمراتها:

1. المتصف بالعفة يفوز برضا الله وثوابه.
2. المتصف بالعفة يشعر بالرضا عن نفسه، ويرضى عنه الآخرون.
3. بالعفة تتحقق المروءة، وعزة النفس، وكرامة الإنسان.

1. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف في المسألة.
2. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس.
3. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى.

4. العفيف سيد نفسه، لا يخضع للمغريات، ولا للشهوات، يستغني عما في أيدي الناس.

5. المجتمع الذي يسوده العفاف، يكون محصناً من الفساد الأخلاقي، والفساد الاجتماعي، والفساد المالي.

6. للعفة دور كبير في حفظ الشرف، وصيانة الأعراض، ومحاربة الفواحش، وحماية الفضيلة، وعدم الوقوع في مستنقع الرذيلة.

عوامل تحقيق العفة:

تتحقق العفة عن طريق العوامل الآتية:

1. تحقيق الإيمان في النفوس، وتقويته في القلوب، واستشعار مراقبة الله الدائمة في السر والعلن. وفي هذا جاء قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف: {وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ* فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ}(يوسف: 33-34)

2. التربية الروحية؛ من صبر ورضا، وإرادة، ومجاهدة، وغض للبصر.

3. التوعية الفكرية، وذلك بتوعية الجيل المسلم بأهمية هذا الخلق الكريم، وتنمية شعور المسلم بمسؤولياته في نشر مفهوم العفة في المجتمع.

4. شغل الفكر فيما ينفع، من قول أو عمل، وتجنب الفراغ، والإكثار من التقرب إلى الله بالنوافل.

5. الابتعاد عن الرذائل والمثيرات الخارجية.

6. الرفقة الصالحة، فالصحبة تساعد المسلم وتعينه على الالتزام بهذا الخلق الكريم.

7. الترفع عن سؤال الناس.

وفي الختام؛ ما أجمل هذا الخلق الكريم! والأجمل منه أن يكون ذلك من أجل الله.

سائلين الله عز وجل الهدى والتقى والعفاف والغنى

أخلاق وقيم

رسالة الإسلام
رسالة أخلاقية وقيمية

د. حمزة ذيب مصطفى/ جامعة القدس/ مدير مركز القدس للدراسات والإعلام الإسلامي

معروف أن رسالة الإسلام خاتمة الرسالات السماوية إلى الأرض، وجاءت ناسخة لكل الأديان والشرائع السابقة، قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ}(آل عمران: 19)، ويقول سبحانه: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ}. (آل عمران: 85)

وهي الرسالة الكاملة والشاملة، وكتابها لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

وإذا ما نظرنا إلى جوهر هذه الرسالة وفلسفتها، لوجدناها تتمثل في الأخلاق، وأن الأخلاق قلبها وعمودها. وما العبادات إلا لتتميم رسالة الأخلاق التي تخدم الإنسان في حياته، إذ الله تبارك وتعالى غني عن عباده، وغني عن العالمين، ومستغن عن عبادة الخلق، مصداقاً لقوله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (آل عمران: 97)

وجاء في الحديث القدسي: (يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ)(*)

* صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

من هنا؛ جاءت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة؛ لتؤكد هذه الحقيقة، وتدل وتشير بل تأمر بهذا السلوك القويم، وتحض عليه.

ومن هنا؛ فالإنسان المسلم إنما يُطالب قبل كل شيء بالخلق الحسن، والخلق النبيل، وأن يتعامل مع الناس في ضوء قواعد الشرع، التي تأمر بالعفو والصفح، والتعامل مع الآخرين بالعدل، بل بالفضل، وتأدية الأمانة، وأن يبتعد المسلم عن أذى الآخرين، وأكل حقوقهم وأموالهم بالباطل، ويتجنب أكل الربا، والسرقة، وشرب الخمر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وتجنب شهادة الزور، وأن ينأى بنفسه عن السب، والشتم، واللعن، والابتعاد عن الوقوع في أعراض الآخرين قولاً وفعلاً، ووجوب تجنب الكذب والغيبة والنميمة، وغير ذلك مما ينافي الأخلاق القويمة، والسلوك النبيل، حتى اللغو، فإن المسلم مأمور أن يبتعد عنه.

وإليكم بعضاً من هذه النصوص:

أولاً: جاء في الحديث الصحيح، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ).[1]

وفي هذا الحديث بيان واضح لأسباب بعثة المصطفى، صلوات الله عليه وسلامه، على رأسها، ومن مضامينها العظيمة الأخلاق. ومن هنا قال صلوات الله عليه وسلامه: (إِنَّ مِن أَخيركم أَحسنكم خلقاً).[2]

وفي الحديث الصحيح: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا).[3]

وورد أيضاً عنه صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ، دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ)[4]

1. السنن الكبرى للبيهقي، 10 /323.، (صالح الأخلاق) بدل مكارم الأخلاق، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.
2. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي، صلى الله عليه وسلم، فاحشاً ولا متفحشاً.
3. سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وقال الألباني: حسن صحيح.
4. سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، وصححه الألباني.

وفي الحديث المتفق عليه: (إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا)[1]، وحينما ذكر لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن تلك المرأة الصوامة القوامة، غير أنها تؤذي جيرانها، قال: (هي في النار) وعن تلك المرأة التي لم تذكر بكثرة العبادة من الصيام والقيام، غير أنها لا تؤذي جيرانها، قال: (هي في الجنة).[2]

ألا وإن (الدين المعاملة ..) وهذا فيه دلالة على أهمية التعامل الحسن، وضرورة معاملة الناس المعاملة الطيبة الخيرة، والجميلة، لدرجة أن جعل الإسلام كله في المعاملة. كقوله، صلوات الله عليه وسلامه: (الحَجُّ عَرَفَةُ)[3]، لأهمية التأكيد على ركنية الوقوف بعرفة من باقي الأركان والواجبات والسنن في هذا المنسك العظيم.

وهذا شيء في غاية الأهمية، يجب على الدعاة، وحملة الإسلام، أو من يظهرون بزي الإسلام كإطلاق اللحية، ولبس العمامة، أو غير ذلك من الهيئات والأشكال الدالة على التزام الإنسان بتعاليم الشرع الحنيف، أن يتحلوا به، ويدركوا عمق هذا المعنى، ومدى تأثير المعاملة الحسنة في الآخرين. وأن من الواجب والضروري والأهمية بمكان أن يكون الدعاة وهؤلاء الناس على ذكر من هذه المعاني، وأنهم بذلك قد يكونون القدوة الحسنة أو السيئة، فيتأثر الناس بهم إيجاباً أو سلباً. إذ الأخلاق أعظم سلاح، وأكبر دليل، وأنصع حجة، للإنسان المسلم على دينه، وتعاليم رسالته السمحة، وهذا خير من الأقوال، فضلاً عن أقوال تتناقض والأفعال غير الجيدة، أو غير الحسنة، التي يكون عليها بعضُ الدعاة، أو من حملة الإسلام.

وقد استطاع المسلمون أن يقيموا أعظم دول الإسلام من خلال الأخلاق، والتعامل الحسن فقط، دون أن يستخدموا شيئاً من العنف، أو القتال، وذلك لما للقدوة الحسنة من خلال الأخلاق القويمة، من تأثير فعال في النفوس والعقول.

1. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل.
2. مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة، رضي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.
3. سنن الترمذي، كتاب الحج عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، وصححه الألباني.

ومن الإلماحة الضرورية هنا أن أكثر ما تأثر به الناس في عصر النبوة إنما كان من خلال أخلاق النبي العظيمة، وهل حينما دخل بلال الحبشي، أو صهيب الرومي في الإسلام، على سبيل المثال، كان من تأثرهم ببلاغة القرآن الكريم، وهم لا يكادون يفهمون العربية، أم من خلال أخلاق المصطفى ورحمته صلى الله عليه وسلم؟ لذلك أثنى الله تبارك وتعالى وامتدح النبي، صلى الله عليه وسلم، في جانب أخلاقه، أكثر من ثنائه على عبادته، فقال جل شأنه: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم: 4)

وهذه القاعدة الأخلاقية المهمة، وخطيرة الشأن، لغائبة عن كثير من المنتسبين إلى الإسلام، وبكل أسف، ومغيبة في أكثرها عن المجتمعات الإسلامية، غير أنك تجدها، وبكل أسف، في المجتمعات الغربية، حيث صدق الحديث، وصدق المواعيد، والإخلاص في العمل، والإتقان في الصناعة بوجه عام، وعدم التدخل في شؤون الغير، وترك ما لا يعني الإنسان، والبعد عن الفتنة، والغيبة، والنميمة، والحسد، والنأي عن الإشاعة، والوقوف على الحقيقة، والتحلي بالموضوعية، والنزاهة، وبالتالي أضحت تلك المجتمعات مثالية، ومتقدمة، ومتطورة، وناجحة. أليست هذه الأخلاق هي أخلاق الإسلام الحنيف وقيمه؟ أليست هذه السلوكات من الفرائض والواجبات التي يجب على المسلم أن يتحلى بها ويتصف، ويجعلها سلوكاً ومنهجاً له في الحياة؟ لماذا هذا البعد عن هذه الأخلاق والقيم والسلوك؟ وكما أسلفت قبل قليل حتى العبادات، ففي جوهرها إنما هي أخلاق، ودعوة من خلالها إلى الخلق الحسن، ألم يقل رب العزة في معرض فرضية الحج: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ}(البقرة: 197)

وماذا كانت توجيهات المصطفى صلوات الله عليه وسلامه، حينما ذكر شهر الصيام وصوم الإنسان المسلم؟ ألم يكن توجيهه إلى الخلق العظيم، والسلوك القويم، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: (وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلا يَرْفُثْ، وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ)؟(*)

* صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم.

وفي معرض فرضية الصلاة، ألم يقل جل شأنه: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}؟ (العنكبوت: 45)، وماذا قال الباري جل شأنه في صفات المؤمنين؟ لننظر إلى الآيات الكريمات حتى تتضح لنا الأمور بصورة جلية، من أن رسالة الإسلام إنما هي في جوهرها وفلسفتها أخلاقية سلوكية، قال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (الفرقان: 63). أليس في هذا دعوة إلى الهدوء، والتواضع، والصفح، والعفو، وعدم مقابلة السيئة بالسيئة، وإنما مقابلة السيئة بالحسنة؟.

وقال سبحانه: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}. (الفرقان: 67)

أليس في ذلك دعوة للاقتصاد في النفقة؟ وهذا مردوده وأمره عظيمان على الحياة الاقتصادية الفردية، والأسرية، والمجتمعية، أليست هذه بأخلاق وقيم وسلوك اقتصادية، تعود بالنفع على الحياة بوجه عام؟.

وقال جل شأنه: {وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا}. (الفرقان: 68)

وقال أيضاً: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}. (الفرقان: 72)

إذا لم تكن هذه دعوة للأخلاق والقيم والسلوك الحميد، من تحريم للقتل، ودعوة للابتعاد عن هذه الجريمة المجتمعية، فما هي الدعوة؟

ثم هناك الدعوة للحفاظ على أعراض الناس، والبعد عن الوقوع في هذا الحق الإنساني والمجتمعي، مما يعود على المجتمع بالأمن والأمان، والنأي بالناس عن المعضلات والمشكلات والجرائم. وكذلك الشأن في شهادة الزور وتحريمها، وتجريم شاهد الزور، الذي يبطل الحق، ويحق الباطل، ويوقع الظلم على الناس.

ثم لم تقتصر الآيات على الجرائم والمحرمات، بل تعرضت حتى لأمر اللغو الذي لا يقدم ولا

يؤخر، ولا يقيم له الناس وزناً يُذكر، وهو الكلام العارض، حتى هذا، نهانا عنه نهياً بطريقة مباشرة وغير مباشرة، وهذه صفة حميدة من صفات عباد الرحمن، ومن صفات المؤمنين الأتقياء الأخيار.

من ذلك نخلص إلى أن منظومة القيم الأخلاقية في الشريعة الإسلامية، بل في الشرائع السماوية السابقة، هي جوهر هذه الرسالات، وهي فلسفتها بعد التوحيد الخالص، ومعرفة الله سبحانه ذاتاً، وأسماءً، وصفاتاً.

وهذه المنظومة القيمية هي التي نشرها الإسلام بين الأمم، وعلمها للشعوب المختلفة، وأرسى قواعدها بين الأمم، وهي التي كانت سبباً في نشر الإسلام وشيوعه بين أفراد تلك الأمم المختلفة. وهذا الذي يجب على الأمة الإسلامية أفراداً وشعوباً ودولاً أن تؤصله وتجذره، وتسير على منواله، فهو خير وسيلة للدعوة إلى الله، والتأثير في الناس بأقل التكاليف، وأيسر السبل، وأقرب الطرق.

أخلاق وقيم

غفلة الناس عن الإحساس بنعم الله عليهم

شريف مفارجة/ باحث شرعي/ دار الإفتاء الفلسطينية

لو أردنا أن نعدَّ نعم الله تعالى على العباد، فلن نستطيع عدها، يقول الله تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}(النحل: 18)، فالله تعالى كريم ورحيم بنا، وقد كرمنا على خلقه جميعاً، وخلقنا في أحسن تقويم، وعلى الرغم من نعمه الكثيرة علينا، نعصيه، ونغفل عن طاعته، وننسى شكره، فكل نعمة التي أنعمها علينا تؤثر في حياتنا، ولا يمكن أن نستغني عنها، وهناك من الناس من لا يُقدّر نعمة الله عليه، فينكرها، ويعدها من جهده وعمله وعلمه، ولولا اجتهاده لما حصلت، وخير مثال على ذلك قارون الذي أتاه الله المال والكنوز، فأنكر نعمة المال، وقال هذه بسببي، فأنزل الله تعالى قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، يبين فيه إنكار العبد لمنة الله ونعمته عليه، فقال تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}(القصص: 76-78)، فهذا النوع من الناس لا يهنأون بما أعطاهم الله تعالى، ولا يتباركون فيه في الدنيا، ولهم في الآخرة الخسران والعذاب الشديد؛ لأنهم لم يستخدموا النعم التي أنعمها الله عليهم في طاعته، وفي الخير والإحسان، وإنما استخدموها

في معصيته، وفي الشر، والفساد، فكان الجزاء من جنس العمل، فمثل هؤلاء لا يذكرون الله تعالى إلا عند الضيق والضر، فقال تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}(الزمر: 8)، وهناك طائفة من الناس ينسون نعم الله عليهم، ويذكرونها، ويستشعرونها قليلاً؛ لأسباب مختلفة، منها، انشغالهم في الدنيا، ونسيان الآخرة، وحب جني الأموال، وكثرة المعاصي، وقلة الطاعات التي تسبب ضعف الإيمان، الذي بدوره يبعد العبد عن ربه، وينسيه إياه، وينسيه فضله عليه، ولا يتذكره إلا عندما يُشحن إيمانه ويقوى، وصنف من الناس يتذكرون نعم الله دائماً، وقليلاً، ينسونها، لانشغالهم في أعمالهم وتجارتهم وأمور دنياهم، ثم لا يلبثون أن يعودوا ويتذكروا نعمه سبحانه، ويشكروه عليها، فهذا صنف عامة المؤمنين، وصنف من الناس المتقين الذين هم خير الناس الذين دائماً يذكرون الله، ويستشعرون نعمه، ويشكرونه عليها، ويرضون بما قسم الله تعالى لهم، وهم دائماً على ارتباط وصلة بربهم، في السراء والضراء، ويشعرون بمراقبة الله تعالى لهم، فلا يقدمون على المعاصي، ويكثرون من الطاعات، فهؤلاء يكونون في معية الله تعالى، يحفظهم من كل شر، ويوفقهم لكل خير، ويجزيهم خير الجزاء، وينجيهم من عذابه، والله تعالى يقول: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ}. (القمر: 33-35)

والإنسان عليه أن يحارب الغفلة التي تعتريه، وتبعده عن شكر ربه على النعم العظيمة التي وهبها له، أو تلهيه عن العبادة، والعمل للآخرة، فيهدر أوقاته في أشياء تافهة وزائلة يتنافس فيها على الدنيا، من أجل الشهرة، والزيادة في المال والجاه وغيره، والرسول، صلى الله عليه وسلم، حذرنا من ذلك، فقال: (فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا

كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُم)[1]، والعلاج من الغفلة يكون بمجاهدة النفس، بالصبر عن الوقوع في المعاصي، والصبر على الطاعات، والإكثار منها، وذلك بالخشوع في الصلاة، وقراءة القرآن، والأذكار، والدعاء، وحضور مجالس الذكر والعلم، وإخلاص الأعمال لله تعالى، وتقليل التزود من الدنيا، والإكثار من أعمال الآخرة، ومجالسة الصالحين، وزيارة القبور التي تذكر الإنسان بالموت، والجنة، والنار، وسماع المواعظ والدروس الدينية، وتأمل أحوال الناس الذين فقدوا بعض النعم، كالسجناء الذين فقدوا نعمة الحرية، والمرضى والمعوقين الذين فقدوا نعمة الصحة، والفقراء والجوعى الذين فقدوا نعمة المال والغذاء، والذين يعيشون في أماكن الفتن والفساد والظلم والقتل، ممَّن فقدوا نعمة الأمن والأمان، والكفار الذين فقدوا نعمة الإسلام، التي هي خير نعمة وأعظمها، وغيرها كثير من النعم، والرسول، صلى الله عليه وسلم، أخبرنا عندما يرى المرء إنساناً ابتلي بفقدان نعمة من النعم، وهو يملكها، أن يقول: (الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلاَءُ).[2]

واعلموا أن الدنيا لا يوجد عليها إنسان كامل، فالكمال لله تعالى وحده، فكل له مشكلاته وهمومه، ولكن الكيس الفطن الذي يعرف كيف يخرج منها، دون أن تؤثر فيه سلباً وتضره، ليرضى عن حياته، ويشكر الله ويحمده عليها دائماً في السراء والضراء، وينظر إلى من دونه، دون أن ينظر إلى من فوقه، فيصبح لديه القناعة والرضا، ليرضى الله عنه، ويزيده من فضله، والله تعالى يقول: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} (إبراهيم: 7)، فنسأل الله تعالى أن نكون من الذاكرين والشاكرين والراضين، الذين يرضى الله عنهم، ويدخلهم في أعلى جناته، وصلى اللهمّ على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

1. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها.
2. سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى مبتلى، وحسنه الألباني.

الإسلام الحنيف وتكريمه للمرأة

الشيخ حسن جابر/ مفتي محافظة رفح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

فقد كرم الإسلام الحنيف المرأة أبلغ التكريم، ومنحها من الحقوق والواجبات التي تساويها مع الرجل، إلا أن هناك أشياء وأعمالاً وكلَّها إلى الرجال، حسب تكوين أجسامهم وقدراتهم وطاقاتهم، فمعلوم أن المرأة ضعيفة الجسم والبنية، لا يناسبها من الأعمال ما يناسب الرجال، وأما القول إن المرأة لا تخرج من بيتها، إلا إلى قبرها، فهذا أمر لم يرده الإسلام الحنيف، وإنما أباح للمرأة الخروج، والتعلم، والتفقه في الدين، وفعل أفعال الخير كافة التي فيها صلاح الأمة والمجتمع، وذلك بحضور مجالس العلم، وأفعال الخير جميعها، شريطة ألا يخدش هذا الخروج عفتها وشرفها، لما جاء في الحديث عن أم عطية، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (يَخْرُجُ الْعَوَاتِقُ وَذَوَاتُ الْخُدُورِ، أَوِ الْعَوَاتِقُ ذَوَاتُ الْخُدُورِ، وَالْحُيَّضُ، وَلْيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ، وَدَعْوَةَ الْمُؤْمِنِينَ)(*)، ففي هذا الحديث أذن النبي بخروج غير ذوات الهيئات من النساء، اللواتي لا يؤدي خروجهن إلى فتنة، وأما ذوات الهيئات، فإذا خرجن فليخرجن محتشمات، يلبسن ثياباً لا تصف، ولا تشف، لئلا يؤدي خروجهن إلى حدوث فتنة، فإذا لم يلبسن ثياباً

* صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب شهود الحائض العيدين ودعوة المسلمين ويعتزلن المصلى.

فيها الحشمة، فحينئذ يمنعن من الخروج، وكذلك سمح الإسلام الحنيف للمرأة أن تشغل وظائف كثيرة في المجتمع أسوة بالرجال، وقد يكُنَّ بارعات في هذه الوظائف أكثر من الرجال، وأما الوظائف التي يباح للمرأة القيام بها، فهي كثيرة متعددة، لا يتسع لها هذا المقام، منها على سبيل المثال لا الحصر، العمل في التدريس، والأعمال الكتابية، التي تتناسب مع تكوين جسمها، شريطة ألا تؤدي إلى خلوة، واختلاط بالرجال الأجانب، لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: (لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ)[1]، كما يجوز لها العمل في التطبيب، وبخاصة تطبيب النساء، وهذا المجال تحتاج إليه مجتمعاتنا دائماً، وقد ورد أن نساء سلفنا الصالح، كنَّ يخرجن مع المسلمين في غزواتهم، لتطبيب الجرحى، وسقاية المجاهدين، ومثال ذلك ما فعلته خولة بنت ثعلبة، حين خرجت مع نساء المسلمين إلى الشام في غزوة اليرموك، حيث وقفن خلف جيش المسلمين، ليشجعنه، ويحفزنه، ويدفعنه إلى مقاتلة أعداء الله من الروم، وأيضاً ما فعلته السيدة الفاضلة أم عمارة، حيث وقفت في غزوة أحد، تقاتل عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وتدافع عنه حتى جُرِحَتْ اثنا عشر جرحاً، وهي صامدة تدافع عن نبي الله عز وجل، والمسلمين، فقال ابنها للرسول، صلى الله عليه وسلم: (ادعُ اللهَ أَنْ نُرافِقَك في الجَنّةِ، فَقَالَ: اللهمَّ اجْعلهم رفقائِي في الجنّة).[2]

كما يسمح لها بالعمل في مجال الهندسة بأنواعها، ومنها المعمارية التي يكون فيها العمل بالرسم والديكور، ولا تحتاج إلى الخروج، ومراقبة المساكن، حتى لا يؤدي ذلك إلى تحملها جهداً ومشقة، لا تليق بتكوينها الجسماني، وأيضاً يسمح لهن بالعمل في العلوم المتقدمة، كالذرة، والتكنولوجيا، والفلك، وعلم الأحياء، وهذه الأعمال كلها يسمح للمرأة بممارستها، إن كانت هناك ضرورة

1. سنن الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في لزوم الجماعة، وصححه الألباني
2. مناقب النساء الصحابيات لعبد الغني المقدسي، 1/ 56.

توجب العمل، فإن لم تكن هناك ضرورة توجب العمل، فيستحب لها العمل في بيتها، لخدمة زوجها، وتربية أولادها وتعليمهم، فإن هذه الأمور لا تقل أهمية وفائدة ونفعاً عن العمل خارج بيتها، ومن أمثلة ذلك أن امرأة من سلفنا الصالح وهي أمامة بنت الحارث، أوصت ابنتها عند زفافها قائلة لها: (أي بنية؛ إنك خرجت من العش الذي فيه درجت، إلى فراش لم تألفيه، وقرين لم تعرفيه، فكوني له أمة، يكن لك عبداً، وكوني له مهاداً، يكن لك عماداً، واحفظي **سمعه** وبصره، فلا يشم منك إلا طيباً، ولا يرى منك إلا جميلاً، وتفقدي طعامه، وشرابه، ونومه)[*] فهذه الوصايا القيمة التي أوصت هذه المرأة الفاضلة ابنتها، والتي يجب على كل فتاة أن تفهمها وتتعلمها؛ لأنها تؤدي إلى طاعة المرأة لزوجها، ومحافظتها على بيتها وأبنائها، فإن هذه الأمور مجتمعة، تؤدي إلى قوة الأمة، وسلامة أبنائها، الذين هم لبنات الأمة، التي يقوم عليها كل مجتمع قوي وسليم. وأما الأشياء التي لا يسمح لها بالعمل فيها، فهي الأمور التي حرمها الشارع الحكيم، والتي تؤدي إلى الاختلاط، والخلوة، وانتشار المفاسد، والتي هي خطر على سلامة الأمة والمجتمع.

وخلاصة القول في هذا المقام، أن الإسلام الحنيف كرم المرأة أبلغ تكريم، ومنحها من الحقوق والواجبات، التي تحفظ لها كرامتها، وتصون عفتها.

وفي الختام؛ نسأل الله العلي القدير، أن يجنبنا الفتن، ما ظهر منها، وما بطن، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* فقه السنة: 2 / 234، بتصرف.

مصطلحات قرآنية

الفرح والسعادة والسرور في القرآن الكريم

أ. يوسف عدوي - جامعة بيت لحم - كلية التربية

مقدمة:

إن البحث في النفس البشرية ليس سهلاً، خاصة إذا كان هذا البحث ليس مؤسساً على القرآن الكريم، والسنة النبوية، فالله سبحانه وتعالى، هو خالق النفوس، ويعرف ماهيتها، وطبيعتها، وشهواتها، وغير ذلك، قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} (الشمس: 7-8)، والقرآن الكريم، يفتح لنا دائماً مغاليق النفس، ويبين لنا في وضوح تام، أن النفس الإنسانية، تشتمل على خاصيتين أساسيتين: النزوع إلى طلب الشهوات، والفجور، والمجاهدة في طريق الله والتقوى.

مفهوم الفرح والسعادة والسرور:

الفرح: فرح فرحاً: رضي. وفي الحديث: (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ)[1]، ويقال: فرح بكذا: سر وابتهج: تعني استخفته النعمة، فأبطرته، فهو فرح، وفرحان، وفارح، وهي فرحة، وفرحى، وفرحانة، وفارحة.[2]

السعادة: سعداً وسعوداً: نقيض شقي، والسعادة معاونة الله للإنسان على نيل الخير. [3]

1. صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها.
2. المعجم الوسيط، مادة فرح، ص679 .
3. المعجم الوسيط، مادة سعيد، ص 430 .

والسرور: من سرر، والسرّاء: النعمة والرخاء، والضراء: الشدة، والسرور: الفرح، وهو خلاف الحزن.[1]

مفهومها اصطلاحاً:

الفرح: لذة القلب لنيل المشتهي، أو انشراح الصدر بلذة عاجلة، وأكثر ما يكون في اللذات البدنية.[2]

السعادة: هي معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير، والنعم، وسعة الرزق، مع كونه مؤمناً بالله، متبعاً للرسل، عليهم السلام، وهذه السعادة الدنيوية هي المفضية إلى السعادة الحقيقية الأخروية، التي تعني استحقاق الخلود في الجنة.[3] قال تعالى: {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ}. (هود: 105)

السرور: هو ما يُكتم من الفرح، ويكون في القلب، إذا سر استنار الوجه، فقد ورد في حديث كعب بن مالك: (وَكَانَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، كَأَنَّ وجهه قِطْعَةُ قَمَرٍ).[4]

ورود هذه المفهومات ودلالاتها في القرآن الكريم:

الفرح: تكررت لفظة فَرِح (بفتح الفاء وكسر الراء)، واشتقاقاتها في القرآن الكريم (22) مرة، وجاءت على صيغة: فرح، وتفرح، وتفرحوا، وتفرحون، ويفرح، ويفرحون، وفرح، وفَرِحُون، وفَرِحين، وتوحي هذه الألفاظ بارتباطها باللذة العاجلة، وقد يصاحب الفرح بطر، فيصبح مذموماً، وإن لم يصاحبه بطر، فهو محمود.

---

1. لسان العرب، ابن منظور، مادة سرر، ص361 .
2. سعادة الإنسان في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ص212.
3. سعادة الإنسان في القرآن الكريم، مرجع سابق. ص22 .
4. صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، وانظر سعادة الإنسان في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص212 .

وجاء الفرح في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع:

(1) **الفرح المحمود**: وهو ما يتعلق بأمور الدين، فالفرح من حيث هو انفعال فطري، يتساوى فيه الناس جميعاً، يمدح ويذم بحسب متعلقهُ ومحلة القلب، وما يفرح الإنسان أمر مكتسب، وهو محل التباين، ومن هنا؛ تأتي عناية الإسلام، لتجعل هذا الفرح محموداً. والآيات الواردة في القرآن، والتي تفيد الفرح المحمود ثلاث آيات، وهي: قوله تعالى: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ}(الروم: 4)، والفرح هنا لانتصار الروم أصحاب قيصر ملك الشام على فارس أصحاب كسرى، وهم المجوس، وقد قيل كانت نصرة الروم على فارس يوم بدر، وقيل عام الحديبية.[1]، وقوله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} (يونس: 58)، جاء الفرح هنا بفضل الله وبرحمته بالسبب، وقوله تعالى في الشهداء: {فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ} (آل عمران: 170)، فالشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة[2]، فجاء الفرح هنا مقيداً بفضل الله ورحمته بالسبب.

ولهذا النوع من الفرح صور وآثار إيجابية، أهمها:

- الفرح بالإسلام يقتضي الفرح بما أنزله الله، وتفضل به على خلقه، ولهذا يفرح المسلمون بالله، وتطمئن قلوبهم بذكره وتأنس.
- يحمد المسلمون الله تعالى، بما أنعم عليهم بما يفرحون.
- رضا المسلم بما رضي الله له، والرضا من ثمرات الفرح.
- الفرح بالدين يعني: الحرص على الامتثال لما جاء به وتعظيمه.
- الفرح بالشيء يعد سبباً مباشراً للحرص عليه؛ لأن الفرح كونه انفعالاً يقوي الأفكار، ويطيل بقاءها في النفس.

1. تفسير ابن كثير، 3/ 318 .
2. تفسير ابن كثير، 1/ 404 .

(2) **الفرح المذموم**: وهو الفرح الذي بيّنه القرآن الكريم، وذكر صوراً منه صدرت عن اليهود، والمنافقين، والكافرين، والمترفين، وبرزت فيه الشماتة، والجبن، والكذب، والحقد، فيفرح اليهود والمنافقون إذا مس المسلمين قرح، أو نكسة، والآيات التي وردت معبرة عن الفرح المذموم، هي: قوله تعالى: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} (التوبة: 81)، والفرح هنا السرور من فعل تبتهج النفس به، والمخلفون هم الذين أخلفهم نفاقهم، وتركهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في المدينة، وذهب إلى الجهاد، وجاءوا بالمعاذير الكاذبة، وقوله تعالى: {لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (الحديد: 23)؛ أي أعطاكم. فلا تفخروا على الناس بما أنعم الله عليكم، فإن ذلك ليس بسعيكم، ولا كدكم، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم، وإن كانت الأسباب مطلوبة، فلا تتخذوا نعم الله شراً وبطراً تفخرون بها على الناس(*)، وقوله تعالى: {وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا} (الشورى: 48)، فلا يجوز أن يختال الإنسان، أو يبطر بنعم الله، وقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} (الأنعام: 44)، هنا الفرح مقيد بالدنيا ينسى صاحبه فضل الله، ومنته عليه، وتبدو هنا العلاقة النصية واضحة، فهي علاقة مناسبة معنوية، إذ إن الخواتيم لها علاقات بالبدايات، وقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ} (يونس: 22)، جاء الفرح هنا في سياق الاستدراج، والنسيان بأن الله يحفظ السفن، ومن فيها، ففرحوا بسرعة سيرهم، مطمئنين بذلك، ثم اغتلم عليهم البحر.

وقوله تعالى: {اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ} (الرعد: 26)، وجاء هنا الفرح أيضاً في سياق الاستدراج، فالله هو الذي يوسع الرزق على من يشاء، ويقتر على من يشاء؛ لما له في ذلك من الحكمة والعدل، وفرح هؤلاء الكفار

* تفسير الشعراوي، محمد متولي شعراوي،3/ 318.

بما أوتوا من الحياة الدنيا استدراجاً لهم وإمهالاً، وقوله تعالى: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا} (الروم: 36)، وجاءت هنا بمعنى البطر، وهذا إنكار لنعم الله ورحمته.

وقوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (غافر: 83)، وفرحوا هنا تفيد استغناء الأمم المكذبة بالرسل بما عندهم من العلم عما جاءت به الرسل، وقوله تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ} (القصص: 76)، وهذا الفرح هو فرح المترفين، فقارون من اليهود الذين عرف عنهم حب المال وعبادته، وتقديم الفرح به على كل شيء، وجمع قارون بين الكفر وحب المال، كما بين القرآن الكريم، وقوله تعالى: {بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ} (النمل: 36)، فيقول سيدنا سليمان، عليه السلام، أنتم يا من أحضرتم الهدايا من سبأ لي، تنقادون للهدايا والتحف، أما أنا، فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف. وقوله تعالى: {ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} (غافر: 75)، فتقول الملائكة للكفار أصحاب النار: هذا الذي أنتم فيه، انما هو جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق، ومرحكم وبطركم. وقوله تعالى: {لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (آل عمران: 188)، وجاء الفرح هنا في ذم المرائين المتكثرين بما لم يعطوا، وادّعاء الكذب للكسب والشهرة، وهي أيضاً من سمات المنافقين وصفاتهم، فكان المنافقون إذا خرج النبي، صلى الله عليه وسلم، اعتذروا وقالوا: ما حبسنا ومنعنا عنكم إلا شغل، فلوددنا أنا كنا معكم.(*)

وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ}(الرعد: 36)؛ أي يفرح أهل الكتاب، وهم قائمون بمقتضاه بما أنزل من القرآن، لما في كتبهم من الشواهد على صدقه، والبشارة به. وقوله تعالى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي

* أسباب النزول، الإمام السيوطي، ص86 .

إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} (هود: 10)، وهنا الفرح بمعنى البطر، وقوله تعالى: {وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ}(التوبة: 50)، وهنا جاءت لتبين فرح الكفار بالابتلاءات التي تصيب سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين، وبين الله تعالى القاعدة لذلك الأمر، أنه لن يصيب المؤمنين شيء إلا بما كتبه لهم، فهم تحت مشيئته وقدرته.

وقوله تعالى: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} (المؤمنون: 53)؛ أي أن الأمم الذين بعثت إليهم الأنبياء ويفرحون بما هم فيه من الضلال؛ لأنهم يحسبون أنهم مهتدون.

وقوله تعالى: {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} (الروم: 32)؛ أي لا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم؛ أي بدلوه، وغيروه، وآمنوا ببعض؛ كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان. وقوله تعالى: {إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}(القصص: 76) الفرح هنا جاء على المطلق في الذم، بما يدل على الشر والبطر.

وللفرح المذموم آثار سلبية كثيرة، أهمها:

- يجعل صاحبه يسيء الظن بالله، وهذا الشعور يفضي إلى التسخط، وعدم الرضا بالقضاء والقدر.
- يلهي عن شكر المنعم؛ لاعتقاد الإنسان الفَرِحْ أن لا فضل لأحد عليه، وهذا ما بدا في قصة قارون.
- الركون إلى الدنيا، والرضا بها، والحرص عليها.
- يدفع صاحبه إلى البخل، ويرغبه فيه، لأن من طبيعة الإنسان أن يحرص على ما يجلب له الفرح.
- يورث صاحبه العجب، بسبب حصوله على ما يفرح، والعجب مدعاة للاستهزاء بالآخرين.
- الشماتة، وهي الفرح بشر ينال الآخرين.

(3) **الفرح المباح:**

هو ما ينسجم مع الطبيعة السوية للنفس البشرية، مع ضرورة الاحتراز منه، لكيلا يؤدي التساهل في شأنه إلى عواقب غير محمودة، وقال عنه العلماء: إنه بين المحمود والمذموم، وأعتقد أننا يمكن أن نلحق هذا النوع بالمحمود. فالفرح على البراءة الأصلية مباح، معفو عنه، كونه انفعالاً، ما لم يطرأ عليه مؤثر خارجي، يحيله إلى فرح محمود أو مذموم، ومن هنا؛ وجه الشرع عنايته إلى تهذيب الفرح وضبطه، ففرح المؤمنين يكون بالملذات الآخروية، وفرح غير المؤمنين يكون بالملذات الدنيوية.

فالفرح عندما يكون بمعنى السرور فهو مباح، وليس بمكروه، كقوله تعالى: {فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ} (آل عمران: 170)، ومن خلال التفريق بين الفرح والسرور، تتضح الصورة، فالسرور لا يكون إلا بما هو نفع، أو لذة على الحقيقة، وقد يكون الفرح بما ليس بنفع ولا لذة، كفرح الصبي بالرقص، والعَدو، والسباحة، وغير ذلك مما يتعبه ويؤذيه، ولا يسمى ذلك سروراً.[1]

وهناك ألفاظ وردت في القرآن قريبة من حيث الدلالة إلى الفرح، فتشترك معه في الشعور المتولد عند حصول نفع، أو اندفاع ضرر، أو توقع ذلك، منها: الاستبشار، والبهجة، والحبور.[2]

السرور:

وردت لفظة السرور في القرآن ثلاث مرات، وتسر مرة واحدة، والسراء مرتين، ويبدو أن السرور يكون في القلب، فالقلب إذا سر استنار الوجه، قال تعالى: {فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا} (الإنسان: 11) فيعني أن الذي يؤتى كتابه بيمينه هو المرضي السعيد، الذي آمن وأحسن، فرضي الله عنه، وكتب له النجاة، وهو يحاسب حساباً يسيراً، فلا يناقش،

1. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص219 .
2. بيان الإسلام تم الرجوع إليه في 1\10\2015 bayanelislam.net\vie.aspx?ID=939&topic

ولا يدقق معه في الحساب، ويفيد هذا التعبير تجمع المتوافقين على الإيمان والصلاح من أهل الجنة، كلٌّ ومن أحب من أهله وصحبه، ويصور رجعة الناجي من الحساب إلى مجموعته المتآلفة بعد الموقف العصيب، متهللاً فرحاً مسروراً بالنجاة واللقاء في الجنان، فقال تعالى: {وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا} (الانشقاق: 9)، ويقول ابن كثير: هذا من باب التجانس البليغ، ولقَّاهم (نضرة)؛ أي في وجوههم (وسروراً)؛ أي في قلوبهم، فالقلب إذا سر استنار الوجه.[1]

أما سرور الكافر، فيكون بين أهله في الدنيا، مسروراً بنعيمه، معتقداً أنه سيبقى في نعيم دائم، لكن خاب ظنه، فالأمر على خلاف ما يظن، وأخطأ في عدم تفكيره بالعواقب، وعدم خوفه مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل، قال تعالى: { إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا} (الانشقاق: 13).[2]

أما لفظة تسر فهي من صيغ (سر) واشتقاقاتها، وجاءت في سورة البقرة، قال تعالى: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ} (البقرة: 69)، وتسر الناظرين هنا بمعنى تعجب الناظرين إليها، والمشاهدين لها، ولفظة (السراء) جاءت في آل عمران، والأعراف، قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ} (آل عمران: 134)، والسراء هنا تعني الرخاء والسعة، وقال تعالى: {وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ} (الأعراف: 95)، والسراء هنا تعني الرخاء أو السعة.[3]

السعادة:

وردت السعادة مرتين في القرآن في سورة هود، وهما بصيغة: سعدوا، وسعيد، قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} (هود: 108)، فالحق سبحانه يعطي المؤمنين ما شاء الله، ويؤكّد خلودهم في

1. سعادة الإنسان في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص213، وانظر ابن كثير، 4/ 455 .
2. تفسير الشعراوي، مرجع سابق، 3/ 416 .
3. انظر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، 1/ 105، 2/ 223 .

الجنة، وعطاءه لهم لا مقطوع ولا ممنوع، وقوله تعالى: { يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} (هود: 105)، يعني: لا تتكلم أي نفس إلا بإذن الله، وقد كانوا يتكلمون في الحياة الدنيا بطلاقة القدرة التي منحهم الله سبحانه وتعالى إياها حين أخضع لهم جوارحهم، فمنهم شقي وسعيد، يعني فريق في الجنة، وفريق في النار، فالذين سعدوا هم أتباع الرسل، ومأواهم الجنة، ماكثين فيها أبداً.(*)

والأسباب التي تحقق السعادة في الدنيا كثيرة، ولعلَّ أهمها: الإيمان، والعمل الصالح، والإخلاص، وجهاد النفس، وتقوى الله، وطلب العلم، والإحسان إلى عباد الله، والاستسلام لقضاء الله، والصبر على الشدائد، وتعداد نعم الله وشكرها، والإنفاق في سبيل الله، والكسب الحلال، وتكون مظاهر السعادة في الآخرة مبنية على: الزحزحة عن النار، ونزع الغل من الصدر، وتسليم الملائكة على أهل السعادة، وذهاب الهموم والأحزان، ونسيان البؤس والآلام، والفوز بالجنة، وسقوط التكليف، ورؤية الله تعالى، والخلود الأبدي، فإذا عرفت الله وسبَّحته وعبدته وتألهته، وأنت في كوخ، وجدت الخير، والسعادة، والراحة، والهدوء، ولكن عند الانحراف، فلو سكنت أرقى القصور، وأوسع الدور، وعندك كل ما تشتهي، فاعلم أنها نهايتك المرة، وتعاستك المحققة؛ لأنك ما ملكت إلى الآن مفتاح السعادة، وقارون ملك أموالاً لا تعد ولا تحصى، ولم يكن سعيداً، وخسف الله به وبأمواله الأرض.

* انظر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ص 441-442 .

القانون الدولي ومدينة القدس

د. حنا عيسى / أستاذ القانون الدولي

اتخذت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة بتاريخ 29/ 11/ 1947م قراراً رقم: 181(2) الذي نصَّ على إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وتقسيمها إلى دولتين، مع الحفاظ على اتحاد اقتصادي بينهما، وتحويل القدس بضواحيها إلى وحدة إقليمية مستقلة، ذات وضع دولي خاص... من هنا نرى بأن الحل الجذري للمشكلة الفلسطينية وفق القرارات الدولية، لا يكمن تحقيقه إلا على أساس قرار 181.

إلا أن إسرائيل منذ قيامها حتى تاريخه تستمر بخرق أصول ميثاق هيئة الأمم المتحدة، الذي يطالب بالاعتراف بحق كل شعب في تقرير المصير والسيادة الوطنية والاستقلال.

علاوة على ذلك استمرارها غير المبرر في احتلال أراضي الغير المجاورة لحدودها عن طريق شنها للحروب المتعاقبة. ففي عام 1967 اتخذ مجلس الأمن قراراً رقم 242، الذي نص على سحب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها خلال حرب حزيران 1967، وضرورة إحلال سلام وطيد عادل في الشرق الأوسط. وبما أن الاحتلال الإسرائيلي بقي على الأراضي الفلسطينية، فإن البت في مستقبلها بعد انسحاب القوات الإسرائيلية ليس مجرد مهمة إنسانية، بل هي قضية ذات طابع دولي سياسي صرف، ولها علاقة مباشرة بمسألة إحقاق الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني. وتبدي الأوساط الحاكمة الإسرائيلية (حرصها) بخاصة على القدس التي أعلنت إسرائيل قسمها الغربي بصورة غير مشروعة عاصمة لها منذ عام 1950. وكانت

هذه الخطوة المخالفة للقانون قد رفضت بحزم من جانب المجتمع الدولي...وفي 7 يونيو 1967م. احتلت (إسرائيل) مدينة القدس بأكملها. عقب عدوانها الذي بدأ في 5 يونيو من العام نفسه.. وفي أغسطس من عام 1980 أقدمت (إسرائيل) على ضم القدس المحتلة، واعتبرتها عاصمتها الموحدة.

وإذا لاحظنا تاريخ ضم (إسرائيل) لمدينة القدس؛ وكذا تاريخ ما أقدم عليه الكنيست الإسرائيلي من تشريع القانون الأساس. الذي يفيد فحواه: أن القدس عاصمة (إسرائيل)، حيث نصت المادة الأولى منه على أن: (القدس الكاملة والموحدة هي عاصمة (إسرائيل)) (30 يوليو 1980). وهو (القانون/التشريع). الذي قام على أساسه الضم. نقول: إذا لاحظنا هذا وذاك. يتبدى واضحاً أن (إسرائيل) -وإن كانت خلال سلامها مع مصر- تخفي مطامعها في تكريس ضم القدس نهائياً، وتوحيدها تحت السيادة الإسرائيلية؛ فإنها -فيما يبدو- لم تعد تجد حاجة إلى إخفاء شيء بعد التوقيع على المعاهدة (المصرية - الإسرائيلية) (في: 26 مارس 1979م).

واستناداً إلى قانون الكنيست المشار إليه، أصبحت (إسرائيل) تعدّ السيادة الكاملة على القدس حقاً لها، لا ينازعها فيه أحد. ضاربة بعرض الحائط القرارات التي صدرت عن مجلس الأمن؛ إما تحذيراً لها من مغبة اتخاذ قرار كهذا (القرار رقم 476). أو استنكاراً للقرار الإسرائيلي، واعتباره باطلاً وفقاً لـ (الشرعية الدولية) (القرار رقم 478).

والواقع أن هذه لم تكن المرة الأولى التي تضرب فيها (إسرائيل) بعرض الحائط القرارات الدولية.. إذ يمثل قرار (إسرائيل) باتخاذ القدس عاصمة أبدية لها تحدياً صارخاً للشرعية الدولية وقراراتها.. وفي مقدمتها: القرار رقم 250 لعام 1968. والقرار رقم 253 لعام 1968. الذي اعتبر الإجراءات الإدارية والتشريعية التي قامت بها (إسرائيل) - جميعها بما في ذلك مصادرة الأراضي والأملاك - التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير في الوضع القانوني للقدس إجراءات

باطلة.

أما القرارات الصادرة عن الجمعية العامة، ومجلس الأمن الدولي التابعين لهيئة الأمم المتحدة، بشأن القدس (للذكر لا الحصر)، فهي:

1. قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 181 (د2) بتاريخ 29 تشرين الثاني /نوفمبر 1947 .

2. قرار الجمعية العامة رقم 273 (د3) بتاريخ 11 أيار /مايو 1949، قبول إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة.

3. قرار الجمعية العامة رقم 303 (د4) بتاريخ 9 كانون الأول /ديسمبر 1949، إعادة تأكيد وضع القدس تحت نظام دولي دائم.

4. قرار الجمعية العامة رقم 2253 (الدورة الاستثنائية الطارئة – 5) بتاريخ 4 تموز/يوليو 1967، دعوة إسرائيل إلى إلغاء التدابير المتخذة لتغيير وضع مدينة القدس والامتناع عنها في المستقبل.

5. قرار الجمعية العامة رقم 2254 (الدورة الاستثنائية الطارئة – 5) بتاريخ 14 تموز /يوليو 1967، إبداء الأسف للتدابير التي اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع مدينة القدس .

6. قرار الجمعية العامة رقم 2851 (د26)بتاريخ 20 كانون الأول /ديسمبر 1971، مطالبة إسرائيل بإلغاء الإجراءات لضم أو استيطان الأراضي المحتلة جميعها، والطلب من اللجنة الخاصة الاستمرار في عملها.

7. قرار الجمعية العامة رقم 2949 (د27)بتاريخ 8 كانون الأول /ديسمبر 1972، التعبير عن القلق الشديد لاستمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، ومناشدة الدول جميعاً ألا تعترف بالتغييرات التي قامت بها إسرائيل في الأراضي العربية المحتلة، وأن تتجنب أعمالاً بما في ذلك المعونة التي يمكن أن تشكل اعترافاً بذلك الاحتلال.

8. قرار الجمعية العامة رقم 35 /207 بتاريخ 16كانون الأول / ديسمبر 1980، إدانة العدوان الإسرائيلي على لبنان والشعب الفلسطيني بشدة، والتأكد من جديد على الرفض الشديد لقرار

إسرائيل بضم القدس.

9. قرار مجلس الأمن رقم 250 (1968) بتاريخ 27 نيسان /إبريل 1968، دعوة إسرائيل عن الامتناع عن إقامة العرض العسكري في القدس.

10. قرار مجلس الأمن رقم 251 (1968) بتاريخ 2 أيار /مايو 1968، إبداء الأسف العميق على إقامة العرض العسكري في القدس.

11. قرار مجلس الأمن رقم 252 (1968) بتاريخ 21 أيار /مايو 1968، دعوة إسرائيل إلى إلغاء إجراءاتها جميعها لتغيير وضع القدس.

12. قرار مجلس الأمن رقم 267 (1969) بتاريخ 3 تموز/يوليو 1969، دعوة إسرائيل مجدداً إلى إلغاء الإجراءات التي من شأنها تغيير وضع القدس.

13. قرار مجلس الأمن رقم 271 (1969) بتاريخ 15 أيلول / سبتمبر 1969، إدانة إسرائيل لتدنيس المسجد الأقصى، ودعوتها إلى إلغاء جميع الإجراءات التي من شأنها تغيير وضع القدس.

14. قرار مجلس الأمن رقم 298 (1971) بتاريخ 25 أيلول / سبتمبر 1971، الأسف لعدم احترام إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بإجراءاتها لتغيير وضع القدس.

15. قرار رقم 465 (1980) بتاريخ 1 آذار /مارس 1980، مطالبة إسرائيل بتفكيك المستوطنات والتوقف عن التخطيط للمستوطنات، وبنائها في الأراضي العربية المحتلة، بما فيها القدس.

16. قرار رقم 476 (1980) بتاريخ 30 حزيران /يونيو 1980، إعلان بطلان الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتغيير طابع القدس.

17. قرار مجلس الأمن 478 (1980)بتاريخ 20 آب / أغسطس 1980، عدم الاعتراف بـ(القانون الأساس) بشأن القدس، ودعوة الدول إلى سحب بعثاتها الدبلوماسية منها.

المسجد الأقصى المبارك والقانون الدولي:

كما هو معلوم، فإن المسجد الأقصى المبارك تنطبق عليه أحكام اتفاق لاهاي لعام 1899،

و1907، كما تنطبق عليه أحكام اتفاق جنيف الرابع 1949، والبروتوكولات التابعة له، بصفته جزءاً من القدس الشرقية التي احتلتها إسرائيل عام 1967، إضافةً إلى تطبيق معاهدة لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في أثناء النزاعات المسلحة لعام 1954 عليه.

فقد نصت المادة 27 (4) من الملحق الرابع من اتفاق لاهاي 1907، على وجوب أن تتخذ القوات العسكرية في حال حصارها «كل الوسائل لعدم المساس بالمباني المعدة للمعابد وللفنون والعلوم والأعمال الخيرية والآثار التاريخية». كما حظرت المادة 22 من الاتفاق ذاته (ارتكاب أي أعمال عدائية موجهة ضد الآثار التاريخية، أو الأعمال الفنية وأماكن العبادة التي تشكل التراث الثقافي أو الروحي للشعوب).

ونصت المادة 56 من اتفاق لاهاي 1954 على تحريم (حجز المنشآت المخصصة للعبادة .. والمباني التاريخية أو تخريبها). كما نصت المادة 53 من البروتوكول الإضافي الأول، والمادة 16 من البروتوكول الإضافي الثاني، لاتفاقية جنيف الرابعة 1949، على (حظر ارتكاب أي أعمال عدائية موجهة ضد الآثار التاريخية، أو الأعمال الفنية، وأماكن العبادة التي تشكل التراث الثقافي، والروحي للشعب).

على أن صمت العالم على الجرائم الإسرائيلية ليس له ما يبرره. فالقدس القديمة مسجلة رسمياً ضمن لائحة التراث العالمي المهدد بالخطر لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو). وشجبت المنظمة، في أكثر من مرة الاعتداءات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي ضد الأماكن التاريخية والمقدسة في القدس، كما سبق أن أدانت الحفريات، وأعمال التنقيب التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي في محيط المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة، ودعت جميع قراراتها، والتي كان آخرها تقرير بعثة اليونسكو التي زارت القدس، دعت جميعها إسرائيل إلى التوقف الفوري عن هذه الحفريات لمخالفتها القوانين الدولية، بما في ذلك الاتفاق الدولي الخاص بحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لعام 1972.

ليس ذلك فحسب، بل إن مجلس الأمن ذاته أصدر قرارات عدة، تؤكد إدانة جميع ما قامت به إسرائيل من أعمال التهويد في القدس وإبطالها، بما في ذلك إبطال الإجراءات التشريعية والإدارية والديموغرافية جميعها، والتي اتخذتها حكومة إسرائيل، وتؤكد عدم شرعية الاحتلال، فضلاً عن مطالبتها إسرائيل بالجلاء عن القدس، كونها جزءاً من الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام 1967.

فإضافة إلى قراري مجلس الأمن الشهيرين 242 (1967) و338 (1973) اللذين يضعان الأساس القانوني في تحديد أن إسرائيل قوة محتلة لقطاع غزة والضفة الغربية، بما في ذلك القدس ويطالبانها بالانسحاب، أصدر مجلس الأمن عدداً من القرارات التي تؤكد وجوب احترام القدس من جانب قوات الاحتلال. منها على سبيل المثال، لا الحصر:

252 (1968) و267 (1969) و271 (1969) و453 (1979) و465 (1980) و476 (1980) و478 (1980) و1073 (1996)، وكلها تؤكد أن مدينة القدس جزء لا يتجزأ من الأراضي المحتلة عام 1967، وينطبق عليها ما ينطبق على بقية الأراضي الفلسطينية، من عدم جواز القيام بأي إجراء يكون من شأنه تغيير الوضع الجغرافي، أو الديموغرافي، أو القانوني لمدينة القدس المحتلة.

إضافة إلى ذلك، فبموجب معاهدة السلام الأردنية - المعروفة بـ (معاهدة وادي عربة)- ظل المسجد الأقصى تحت رعاية الحكومة الأردنية، بصفتها الوصية على شرق القدس، وخدمة المسجد الأقصى، والأوقاف الإسلامية والمسيحية فيها. وتبعاً لذلك، فإنه ليس من حق السلطات الإسرائيلية تغيير أي جزء من المسجد الأقصى، أو تبديله، أو ترميمه، غير أن السلطات الإسرائيلية قامت بتحويل جزء منه إلى كنيس، وما زالت تواصل الحفريات بهدف إسقاط بنائه بالكامل، الأمر الذي يعد (جريمة حرب، بموجب قواعد القانون الدولي. فقد نصت المادة 6 فقرة ب، من ميثاق محكمة نورمبرغ على أن «الاعتداءات على الآثار والمباني التاريخية من دون سبب

تعد جريمة حرب).

كما أن معاهدة لاهاي الصادرة عام 1954، تلزم أي دولة احتلال بالحفاظ على الممتلكات الثقافية والدينية، وتعد الاعتداء عليها «جريمة حرب» أيضاً.

ولعل السؤال الذي يفرض نفسه اليوم: إذا كانت هذه النصوص القانونية الدولية كلها، تعضد الموقف العربي والإسلامي ضد الانتهاكات السافرة والصارخة للاحتلال الإسرائيلي، فلماذا لا يرى للأمة العربية أو الإسلامية أي حراك قانوني دولي، سواء عبر المنظمات الدولية أم القضائية أم حتى السياسية؟!

فبإمكان الدول العربية والإسلامية أن تطالب مجلس الأمن استناداً إلى قراراته السابقة بمنع إسرائيل من مواصلة اعتداءاتها المتواصلة على المقدسات الإسلامية، كما أن لهذه الدول أن تحرك الجمعية العامة للأمم المتحدة، إذ هي تملك الغالبية فيها، ولها عبر الدول التي نقضت إسرائيل معاهداتها الدولية معها، أن ترفع قضية في محكمة العدل الدولية، كون الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات تمثل خرقاً لـ (معاهدة وادي عربة)، وكون الاعتداءات الإسرائيلية تمثل انتهاكات صارخة للقانون الدولي من شأنه تعريض السلم والأمن الدوليين للخطر.

إذ إن من الواضح اليوم أنه ما لم تقم الدول العربية والإسلامية بواجبها في الدفاع عن مقدساتها، فقد يأتي الوقت الذي تكون فيه المطالبة متأخرة جداً!

وللحق، فإن على منظمة المؤتمر الإسلامي والتي صار اسمها اليوم (منظمة التعاون الإسلامي)، عبئاً ثقيلاً يجب ألا تتخلى عنه، فمنظمة المؤتمر الإسلامي التي قامت في الأصل لحماية المسجد الأقصى من العبث اليهودي بعد محاولة حرقه عام 1969، والتي تضم أكثر من 50 دولة في عضويتها، تستطيع بما أوتيت من قوة، أن تجيش المنظمات الدولية بما في ذلك منظمة الأمم المتحدة، وتحرك العالم الغربي لحماية أعز ما تبقى من مقدساتها الإسلامية في القدس، قبل فقده.

القدس لنا

القدس

د. م. عبدالله فنون / شاعر

أقبلي يا ريح في الأسحار ... كي تمطري أرضي وأرض الجار
بل واسقنا ماءً فراتاً طيباً ... يهبُ الحياةَ يفيضُ في الأنهار
ولكل مخلوق يُقيم بأرضنا ... نِعَمٌ تَليقُ بأمة المختار
لنعيش في عِز رغدِ سعادة ... منها حرمنا في ربوع الدار
وتعود للأوطان شمس حضارة ... قُمِعَتْ بفعل مشرد غدار
قَد حلَّ في بلدي ضعيفاً قاصراً ... واليوم يصلاها بكل دمار
بالقصف والتعذيب يسحق شعبنا ... ويذيقنا قهراً وذل إسار
حَكَمَ الديارَ بكل عنف و شدة ... وأحاطَ بالأحرار و الثوار
لم يبقِ فيها قائداً ومناضلاً ... يحمي الحمى من هجمة الأشرار
والقدس قد ضاعت ونهتف باسمها ... ونقيم يوم القدس في الأمصار
ونشيد باسم القدس دون حضورها ... ولنا احتفالات مع الأنصار
فيها نرتل قرآناً بمفخرة ... وبها نردد أجمل الأشعار

وبهـا خطيبُ القـوم يصـدحُ داعياً بالنصـر لا يخشـى مـن الأخطـار
ويوشـح الأقصـى وقبـة صخـرة بوسـام عـز فـوق كل جـدار
فالقـدس أضحـت حـرة وشـريفة في عرفـه محروسـة الأسـوار
والنـاس تذهـب للصـلاة طليقـة في المسـجد الأقصـى بـلا إضـرار
من غـير ضـرب بالعصـي وطلقة للمـوت فيهـا طعنـةُ الجـزّار
مـازال يجهـل أنهـا محفوفـةٌ بجحافـل تطغـى علـى الأبـرار
جـاءوا لهـا مـن كل أرجـاء الورى والظلـم في الأنيـاب والمنقـار
لهـم مخالـب مزقـت أرض الحمـى وبهـا أقامـوا دولـة الأحبـار
قالـوا لنـا هيا ارحلـوا عـن دارنا يـا ثلـة الأغـراب والأشـرار
أو فارقبـوا موتـاً شـنيعاً قادمـاً إمـا بأسـر أو لهيـب النـار
و الشـعب فيهـا صامـد متمسـك بحقوقـه قـد زاد في الإصـرار
يأبـى رحيـلاً عـن ثـراه و ملكـه ويصـر أن يبقـى ولـي الـدار
و القـدس لا ترضى الهتـاف لوحده وتريـد تحريـراً لمسـح العـار
فالسـلم لا يأتـي بقـولٍ و خطبـةٍ بـل بالنضـال وسـطوة الأحـرار
فالحـرب تفتـح للسـلام دروبـه والظلـم لا يُمحـى بغـير أوار
ليعـمَّ في القـدس السـلام لأهلها ويسـودُ عـدل في حمـى الأخيـار

باقة من نشاطات مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء الفلسطينية

إعداد: أ. مصطفى أعرج / مدير عام مكتب المفتي العام

بحضور دولة رئيس الوزراء

المفتي العام يشارك في مؤتمر بيت المقدس الإسلامي الدولي السابع

رام الله: بحضور دولة الدكتور رامي حمد الله – رئيس مجلس الوزراء الفلسطيني– شارك سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك– في مؤتمر بيت المقدس الإسلامي الدولي السابع الذي عقد في رام الله، وأقامته وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، حيث بيّن سماحته أن عقد هذا المؤتمر في هذه الربوع المباركة يؤكد على حقيقة أن القدس عربية إسلامية بحضارتها العريقة، التي يعتز بها مسلمو هذه البلاد ومسيحيُّوها منذ أيام العهدة العمرية، مبيناً أن الدفاع عن القدس ليس واجباً على الفلسطينيين وحدهم، وإنما هو واجب على كل عربي

ومسلم، متمنياً الخروج من المؤتمر بنتائج تعزز الرباط في الأقصى والقدس وفلسطين.

مجلس الإفتاء الأعلى يهيب بالمسلمين أن يعمروا المسجد الأقصى المبارك

ويحذر سلطات الاحتلال من السيطرة على العقارات في القدس

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- رئيس مجلس الإفتاء الأعلى، جلسات مجلس الإفتاء الأعلى التاسعة والثلاثين والأربعين والحادية والأربعين بعد المائة بحضور أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس من محافظات الوطن كافة، حيث أهاب المجلس بالمسلمين أن يشدوا الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك لإعماره والصلاة فيه، خاصة في ظل الهجمة الشرسة التي تقوم بها سلطات الاحتلال وقطعان المستوطنين ضده، كما حذر المجلس من قيام هذه السلطات بتغييرات في التعرفة الضريبية التي تفرضها بلدية الاحتلال على السكان العرب الفلسطينيين في القدس، والتي تعلمهم فيها بأن العقار سيُعرِّف على أنه عقار سكن غير مستخدم، محذراً من محاولات السيطرة على هذه العقارات، ومنحها للمستوطنين للإقامة فيها بدل السكان الفلسطينيين الذين يقيمون خارج فلسطين سواء للعمل أم الدراسة، كما ناقش المجلس العديد من الموضوعات المدرجة على جدول أعماله.

المفتي العام يشارك في مؤتمر (نقض شبهات التطرف والتكفير)

عمان: شارك سماحة الشيخ محمد أحمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك- في أعمال مؤتمر (نقض شبهات التطرف والتكفير) الذي أقامته دار الإفتاء الأردنية في العاصمة عمان، حيث ألقى كلمة في الافتتاح أكد فيها على أهمية شد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك، والدفاع عنه بخاصة في ظل الانتهاكات والممارسات التي تمارسها سلطات الاحتلال ومستوطنوها ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، بالإضافة إلى

بيان خطورة فتاوى الحاخامات اليهود التي تدعو إلى قتل الفلسطينيين وطردهم من أرضهم.

والتقى المفتي على هامش المؤتمر العديد من رؤساء الوفود الرسمية والشعبية، وأطلعهم على آخر الانتهاكات والمضايقات التي تقوم بها سلطات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، والتقى سماحة الشيخ عبد الكريم الخصاونة – المفتي العام للمملكة الأردنية الهاشمية– وقدم له درع دار الإفتاء الفلسطينية، مشيداً بالدعم الذي تقدمه المملكة الأردنية الهاشمية ملكاً وحكومة وشعباً لإخوانهم الفلسطينيين، ومشيداً بالعلاقة الأخوية بين الشعبين الشقيقين.

وقدم سماحته للمؤتمر بحثاً بعنوان: (ادعاءات اليهود في أرض فلسطين ... عرض ونقض) تناول فيه فضل بيت المقدس والشام، ودحض ادعاءات اليهود وشبهاتهم حول مزاعمهم الباطلة، وبخاصة فيما يتعلق بالمسجد الأقصى وأكنافه.

المفتي العام يشارك في أبوظبي في اجتماع لمنتدى تعزيز السلم

أبو ظبي: شارك سماحة الشيخ محمد أحمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك– في أعمال الاجتماع الثاني لمجلس أمناء منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة الذي عقد في عاصمة الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، حيث بحث سماحته العديد من الموضوعات على هامش الاجتماع، والتقى صاحب السمو الشيخ محمد ابن زايد آل نهيان –ولي عهد أبوظبي – نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وذلك خلال استقبال سموه لأعضاء مجلس أمناء المنتدى.

والتقى كذلك فضيلة العلامة الدكتور عبد الله بن بيه– رئيس منتدى تعزيز السلم، وبحث معه العديد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك، وقدم له درع دار الإفتاء الفلسطينية، كما التقى الدكتور محمد مطر سالم الكعبي – رئيس الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف في دولة الإمارات العربية المتحدة، وأطلعه على آخر التطورات والانتهاكات التي تمارسها سلطات الاحتلال وقطعان مستوطنيه ضد المقدسات الفلسطينية، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك.

المفتي العام يلتقي وزير الأوقاف الفلسطيني

القدس: التقى سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية خطيب المسجد الأقصى المبارك، سماحة الشيخ يوسف ادعيس – وزير الأوقاف والشؤون الدينية، بحضور فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله –الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، مفتي محافظة رام الله والبيرة، والسيد محمد جاد الله/ مدير عام الشؤون الإدارية والمالية، والسيد مصطفى أعرج/ مدير عام مكتب سماحة المفتي العام، والسيد جمال قاسم، الوكيل المساعد للشؤون الإدارية في وزارة الأوقاف، حيث أشاد سماحته بجهود وزارة الأوقاف في الحصول على ما هو أفضل لخدمة حجاج بيت الله الحرام، وأدان الحضور المخططات التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد المقدسات الفلسطينية، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، ومحاولاتها تغيير الواقع، وفرض التقسيم الزماني والمكاني للمسجد الأقصى المبارك، بدوره أشاد سماحة الشيخ ادعيس بعمل دار الإفتاء وإصداراتها، مؤكداً على ضرورة تنسيق العمل المشترك لخدمة أبناء الشعب الفلسطيني بعامة، وضيوف الرحمن خلال أدائهم شعائر الحج بشكل خاص.

المفتي العام يستقبل مدير أمن المؤسسات في جهاز الأمن الوقائي

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/خطيب المسجد الأقصى- بحضور السيد محمد جاد الله - المدير العام للشؤون الإدارية والمالية، والسيد مصطفى أعرج- مدير عام مكتب سماحة المفتي العام، عطوفة السيد جمال شديد مدير أمن المؤسسات في جهاز الأمن الوقائي، والأخت أمل أبو عين- نائب مدير أمن المؤسسات، والسيد بلال القريوتي مدير قسم في الجهاز، وذلك في مكتبه في الرام، حيث عبر سماحته عن اعتزازه بالأجهزة الأمنية ودورها المهم الذي تقوم به في حماية الأمن وحفظ النظام والقانون وخدمة المواطن، مثنياً سماحته على جهودها في الأراضي الفلسطينية جميعها، وقدم سماحته شرحاً عن الأوضاع في المسجد الأقصى المبارك والانتهاكات التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته.

من جانبه شكر السيد جمال شديد سماحته على حسن الاستقبال، متطلعاً إلى مزيد من التعاون بين الجانبين.

المفتي العام يشارك في حفل تخريج طلبة مؤسسة دار الأيتام الإسلامية

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/خطيب المسجد الأقصى المبارك، في حفل تخريج وتكريم الفوج السادس والثمانين (فوج القدس) من طلبة مدرسة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، حيث هنأ سماحته الخريجين، وتمنى لهم التوفيق والنجاح في خدمة دينهم ووطنهم، وأشاد بمدرسة الأيتام وبالتقدم الذي وصلت إليه، داعياً إلى دعم هذه المؤسسة التي تكفل الأيتام الذين يفدون إليها من جميع أنحاء فلسطين.

المفتي العام يشارك في إلقاء الدروس الحَسنية في المغرب

الرباط: شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك، في الدروس الحسَنية في المملكة المغربية، تحت رعاية صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حيث شارك سماحته في إلقاء العديد من الدروس الدينية، كانت تحت عنوان: (رمضانيات في بيت المقدس)، تحدث فيها عن شهر رمضان المبارك، وخيره

وبركاته، مبيناً أن من أعظم القربات التي يتقرب بها المسلم إلى الله، في شهر رمضان، إعمار المسجد الأقصى المبارك، وشد الرحال إليه، وتعزيز ثبات أهله المرابطين حوله وفي أكنافه، لا سيما في ظل العراقيل التي تضعها سلطات الاحتلال للحيلولة دون وصول المصلين إليه؛ لأداء عباداتهم فيه.

وعلى هامش زيارة سماحته إلى المغرب، قام بزيارة كلٍ من السفارتين الفلسطينية والسعودية، والتقى عدداً من الشخصيات الاعتبارية والرسمية، وتمحور الحديث في هذه اللقاءات حول آخر المستجدات التي يتعرض لها شعبنا الفلسطيني ومقدساته، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، وبخاصة الاعتداءات والانتهاكات المتواصلة، مطالباً بضرورة العمل على دعم صمود الشعب الفلسطيني ومقدساته، في ظل غطرسة الاحتلال وعنجهيته وعدوانه.

نيابة عن سماحة المفتي العام

مفتي محافظة رام الله والبيرة يشارك في مؤتمر توحيد التقويم الهجري الدولي

اسطنبول: نيابةً عن سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية-، شارك فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله - الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية/ مفتي محافظة رام الله والبيرة، في مؤتمر توحيد التقويم الهجري الدولي الذي عقد في مدينة اسطنبول في تركيا،

وحضره مندوبون عن أكثر من ستين دولة إسلامية، وهدف إلى إيجاد حلول لمشكلة الاختلاف في تحديد مطالع الشهور القمرية، وبخاصة رمضان وشوال وذي الحجة، وخلال مداخلة لفضيلته نبه إلى ضرورة إبقاء القدس والمسجد الأقصى في ذاكرة العرب والمسلمين، وبخاصة العلماء الأجلاء، وأكد على أهمية عقد مثل هذا المؤتمر تحقيقاً لمصالح الأمة بعامة، وحل مشكلات الاختلاف في تحديد مطالع الشهور والأعياد في البلد الواحد، وبخاصة لدى الجاليات الإسلامية في الدول الغربية والأجنبية.

وعلى هامش المؤتمر، التقى فضيلته عدداً من العلماء والمفكرين، من أبرزهم فضيلة الشيخ محمد كورماز رئيس الشؤون الدينية التركية، والمهندس جودة شوكت العالم الفلكي الفلسطيني، ومدير المركز الفلكي الدولي في الإمارات، وعدداً آخر من المشاركين.

كما شارك فضيلته في فعالية انطلقت في رام الله للمطالبة بإنهاء الانقسام واستعادة الوحدة الوطنية، وذلك بدعوة من تجمع الشخصيات المستقلة، حيث أكد فضيلته على أن الانقسام يخدم مصالح الأعداء المتربصين بشعبنا وأرضه ومقدساته، وأن كلَّ مخلص فينا يتطلع بشغف إلى إنهاء هذه الحالة المزرية التي يصدق فيها قوله تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}، فالتشرذم من أبرز أسباب الضعف والانهزام.

وناشد الأطراف المعنية بتقدير الدماء الزكية التي بذلها الأكرم منا جميعاً وهم الشهداء، والاستجابة إلى مطالبة الأسرى البواسل بإنهاء الانقسام، وطالب بتجاوز أسباب الشقاق والترفع على المصالح الفئوية الضيقة، ووضع إرضاء الله تعالى ومصلحة الوطن العامة فوق الاعتبارات جميعها.

وقد رافق فضيلته كل من السيد محمد جاد الله، مدير عام الشؤون الإدارية والمالية، والشيخ عبد الرحيم العيسة، مساعد مفتي محافظة رام الله والبيرة.

وشارك فضيلته كذلك في حفل افتتاح مسجد (الرحمن) في أبو ديس، الذي تبرع بإنشائه أحد المحسنين الكرام، وذلك تحت رعاية سماحة الشيخ يوسف ادعيس/ وزير الأوقاف والشؤون الدينية، وأشاد فضيلته في كلمة ألقاها باسم سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس

والديار الفلسطينية، بهذا الإحسان الذي يعبر عن عمق الإيمان والاستقامة على دين الله تعالى، منبهاً إلى أجر العناية ببيوت الله تعالى بناء وتشييداً وعمارة وتنظيفاً وصيانة، وأداءً للعبادة فيها وتجنيبها كل ما يضر بها وبروّادها، وحث جيران المساجد على المحافظة على أداء الصلوات الخمس فيها.

وأشاد بجهود وزارة الأوقاف ووزيرها وإدارتها في متابعة تقديم الخدمة لبيوت الله تعالى.

مفتي محافظة بيت لحم يشارك في ندوات وورشات عمل

بيت لحم: شارك فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة – مفتي محافظة بيت لحم – في العديد من النشاطات، والندوات وورشات العمل، فشارك فضيلته في ندوة بعنوان: (خلق الإنسان والكون في القرآن الكريم) وأخرى بعنوان: (السلام في الأديان)، وألقى محاضرة بعنوان: (الرحمة والمحبة)، بيّن فيها أن الإسلام يسعى إلى إقامة مجتمع متراحم ومتحاب، كما شارك في ورشات عمل عدة، منها ورشة بعنوان: (مساعي إنهاء الانقسام) وأخرى حول: (الرحمة في الدين الإسلامي والمسيحي) وأخرى بعنوان: (أجر المرأة ما بين الشرع والقانون) داعياً إلى تغيير الثقافة المجتمعية من أجل إنصاف المرأة، كما شارك في الإفطار الجماعي الذي أقامته مؤسسة صمود لتعزيز العيش المشترك، وحضر افتتاح مؤسسة جمعية الرباط في الدهيشة، مشيداً بالجهود

المبذولة لتطوير عمل المؤسسات الاجتماعية، وألقى العديد من المحاضرات على نزلاء في مركز التأهيل والإصلاح، متناولاً العديد من الموضوعات التي تهم المواطنين في حياتهم، كما استقبل العديد من الوفود الأجنبية، أطلعهم خلالها على سماحة الإسلام وعدله، وأنه دين محبة، وليس بالصورة التي يعمل الحاقدون على تشبيتها من خلال تشويهه، وشارك في الحفل التكريمي الختامي للمدارس الفائزة بمسابقة مدارس مميزة بيئياً، وكذلك في المؤتمر الفلسطيني الخامس للموارد البشرية، والذي عقد في جامعة فلسطين الأهلية، كما شارك في العديد من البرامج التلفازية والإذاعية، أجاب خلالها عن العديد من الاستفسارات للمواطنين.

مفتي محافظة نابلس يشارك في العديد من النشاطات

نابلس: شارك فضيلة الشيخ أحمد شوباش -مفتي محافظة نابلس- في العديد من النشاطات، منها ندوة حول (العلاقة بين أتباع الديانات) وصف فيها طبيعة العلاقة بين المسلمين والمسيحيين حسب تعاليم الدين الإسلامي وسيرة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، والصحابة الكرام، مركزاً على العهدة العمرية، كما شارك في ندوة حول (نقل الأعضاء) بين خلالها الضوابط الشرعية لنقل الأعضاء حسب قرار مجلس الإفتاء الأعلى بالخصوص، وألقى محاضرة أمام العديد من منتسبي جهاز الشرطة، بعنوان: (التكافل ضد الجريمة من منطلق ديني) مبيناً مسؤولية رجل الأمن في القيام بمهمَّات رعاية مصلحة المجتمع وحماية المواطنين، كما شارك في حفل تخريج أوائل الطالبات المبدعات في مدرسة ظافر المصري، وكذلك في افتتاح معرض الصناعات الأردنية، وألقى العديد من الدروس الدينية وخطب الجمعة، تناول فيها العديد من الموضوعات، وشارك كذلك في العديد من البرامج الدينية في المؤسسات الإعلامية، أجاب فيها عن استفسارات المواطنين في مختلف نواحي الحياة.

مفتي محافظة جنين يشارك في العديد من الورشات والندوات

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب- مفتي محافظة جنين- في العديد من النشاطات، من ورشات وندوات، فقد شارك في ورشة بعنوان: (احم نفسك ضد مخاطر الابتزاز الإلكتروني) دعا فيها إلى تفعيل دور الشباب في محاربة جرائم الإنترنت، وآفة المخدرات، وورشة حول: (دور حماية الأسرة والإرشاد الأسري) بين فيها أهمية الإصلاح الأسري، والمحافظة على تماسك الأسرة، وورشة حول: (دور الإمام والخطيب في الإصلاح)، مبيناً أجر هذا العمل الكريم، كما شارك في ندوة بعنوان: (الإسلام يحارب التطرف) بين فيها أن الإسلام دين يسر في أمور الحياة كافة، وأخرى حول: (تأثير الصدمات على سلوك الأطفال) مؤكداً على ضرورة الاهتمام بالأطفال في نواحي الحياة جميعها، وحضر لقاء مع الواعظات العاملات في مساجد المحافظة، مشيداً بدورهن الكبير في نشر الوعي الديني، وشارك كذلك في وضع حجر الأساس لمركز الشباب الكوري الفلسطيني.

مفتي محافظة طوباس يشارك في إطلاق الخطة التنموية المكانية الإستراتيجية

طوباس: شارك فضيلة الشيخ حسين عمر – مفتي محافظة طوباس- في الاجتماع الجماهيري الختامي لإطلاق الخطة التنموية المكانية الإستراتيجية للأعوام 2016 - 2022م، وشارك في إطلاق فعاليات الحملة الشعبية لجمع التبرعات لصالح مركز الشهيد خالد الحسن لعلاج السرطان، كما شارك في فعاليات حفل تكريم وتخريج دورة الشهيد الحاج حسن للوعي القانوني والأمني، وكذلك في حفل تكريم الطلبة الفائزين بمسابقات عربية.

مفتي محافظة الخليل يلقي محاضرة دينية عن شهر رمضان المبارك

الخليل: ألقى فضيلة الشيخ محمد مسودة –مفتي محافظة الخليل – العديد من المحاضرات الدينية، منها محاضرة أمام منتسبي جهاز الأمن الوقائي بعنوان: (فضائل شهر رمضان المبارك) بيّن فيها فضائل شهر رمضان على أبناء الأجهزة الأمنية التي تسهر على خدمة الوطن والمواطن وحمايتهما، كما شارك فضيلته في العديد من البرامج الإعلامية الدينية، أجاب خلالها عن استفسارات المواطنين في مناحي الحياة جميعها، كما قام الشيخ يسري عيدة/ مساعد مفتي المحافظة، العديد من النشاطات في المحافظة.

مفتي محافظة سلفيت يلقي محاضرة دينية في جمعية رعاية المسنين

سلفيت: ألقى فضيلة الشيخ جميل جمعة – مفتي محافظة سلفيت– محاضرة دينية في جمعية رعاية المسنين في محافظة سلفيت بعنوان: (تربية الأبناء واهتمام الإسلام في تهذيبهم) بيّن فيها تعاليم الإسلام الحنيف في تربية الأبناء، وشارك في عزاء قائد الدفاع المدني في المحافظة، كما شارك في الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج، وألقى كلمة دعا فيها إلى حماية المسجد الأقصى المبارك، وشد الرحال إليه.

مفتي محافظة طولكرم يلقي محاضرات عدة

طولكرم: ألقى فضيلة الشيخ عمار بدوي – مفتي محافظة طولكرم– العديد من المحاضرات، منها محاضرة حول: (أحكام الديون) بيّن فيها أحكام الديون التي تمس حياة المواطنين ومحاضرة حول (أحكام الشيكات في الشريعة الإسلامية)، بيّن فيها العديد من أحكام الشيكات المنتشرة بين الناس، كما شارك

في حفل إشهار كتاب: (روايات أدبية مترجمة من الإنجليزية)، علما بأن فضيلته يشارك في العديد من البرامج الدينية الإذاعية والتلفازية، يجيب فيها عن أسئلة المواطنين في مناحي الحياة جميعها.

تحت رعاية سماحة المفتي العام، دار الإفتاء / غزة تكرم أ. د. سامي أبو عرجه

غزة: تحت رعاية سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- أقامت دار الإفتاء الفلسطينية في محافظات غزة حفل تكريم لفضيلة الأستاذ الدكتور سامي أبو عرجة، الأستاذ بجامعة الأزهر وعضو مجلس الإفتاء الأعلى، بمناسبة

حصوله على درجة الأستاذية، وذلك بحضور عدد من أصحاب الفضيلة المفتين والعلماء، وقد بيّن فضيلة الشيخ حسن اللحام -مفتي محافظة غزة- أن هذا التكريم للدكتور أبو عرجه هو تقدير لجهوده المتميزة في البحث العلمي وتثمين لها، وألقى أبو عرجه كلمة شكر فيها سماحة المفتي العام على هذه اللفتة الكريمة.

وعلى صعيد آخر أدّى فضيلة الشيخ حسن اللحام - مفتي محافظة غزة- وفضيلة الشيخ حسن جابر - مفتي محافظة رفح- واجب العزاء إلى عائلة الهندي، بمصابهم الجلل، بوفاة ثلاثة من أبنائهم، في حادث مؤسف، وألقيا موعظة، بيّنا فيها فضل الإيمان بقضاء الله وقدره، ومنزلة الصبر والصابرين عند الله عز وجل.

مسابقة العدد 129

السؤال الأول: ما.....؟

أ. معنى لفظ قاصرات في قوله تعالى: {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ}

ب. اسم المسجد الذي وضع في الأرض بعد المسجد الحرام

ت. حكم:

1. الوقوف بعرفة في الحج.
2. دفن الموتى.
3. من مس طيباً وهو محرم للحج.

السؤال الثاني: في أي.....؟

أ. سور ة قرآنية ورد ذكر لفظي: {سُعِدُوا} و {سَعِيدٌ}

ب. عاصمة عربية عقد فيها مؤتمر (نقض شبهات التطرف والتكفير)

ت. موضع من القدمين يكون التساوي فيه بين المصلين المتجاورين في الصف الواحد في صلاة الجماعة

السؤال الثالث: متى.....؟

أ. تبدأ الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة في الحج

ب. صدر قرار الأمم المتحدة رقم 250 الذي اعتبر الإجراءات الإدارية والتشريعية التي من شأنها تغيير الوضع القانوني في القدس باطلة

السؤال الرابع: من.....؟

أ. صاحب بحث: (ادّعاءات اليهود في أرض فلسطين ... عرض ونقض)

ب. القائل:

1. والقدس قد ضاعت ونهتف باسمها ونقيم يوم القدس في الأمصار
2. وإن جارتي ألوت رياح ببيتها تغافلت حتى يستر البيت جانبه

السؤال الخامس: املأ الفراغ فيما يأتي، وذلك بالألفاظ المذكورة في نصوص الأحاديث الصحيحة؟

أ. (لن يَزَالَ الْمُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ من دِينِهِ، ما لم يُصِبْ _____ _____)

ب. (من قَتَلَ مُعَاهَدًا، لم يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ من مَسِيرَةِ _____ عاماً)

ت. (لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ، فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى _____)

ث. (مَنْ أَكَلَ _____ و_____ و_____ فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ)

ج. (إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ .....)

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة
قيمتها 750 شيكلاً موزعة
على ثلاثة فائزين بالتساوي

ملحوظتان :

- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 128
مجلة الإسراء / مديرية العلاقات العامة والإعلام
دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب : 20517 القدس الشريف
ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 127

السؤال الأول:

أ. يعقوب، عليه السلام

ب. آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه

ج. أم الأم

السؤال الثاني:

أ. عائشة، رضي الله عنها

ب. الشاعر محمد خضر عرابي

ج. د. جمال سلسع

د. أبو تمام

هـ. محمد ذياب أبو صالح

السؤال الثالث:

أ. أحمد حسن الزيات

ب. ابن قدامة

السؤال الرابع:

أ. باطلة

ب. حرام

ج. يجوز ذلك

د. يجوز، وللولي الحق في إيقاف العقد حال عدم الكفاءة أو النقص عن مهر المثل

هـ. إسلام آباد

السؤال الخامس:

أ. حنان الحروب

ب. الإسراء

ج. الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات

السؤال السادس:

أ. الشرقية

الفائزون في مسابقة العدد 127

الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
1. ليالي محمود موسى تعامرة	بيت لحم	250
2. منتهى عبد الرحيم سلمان	طولكرم	250
3. أكرم جمعة بكر	أريحا	250

ضوابط ينبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملاحظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات من المصحف الرقمي مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكَّلة، وصحيحة.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو بحوث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع الكترونية

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.org - israa@darifta.org